كتاب طريق الاستقامة لمعرفة الإمامة المنسوب للإمام أبي هاشم (ت بعد ٧٨٧هـ)- تحقيق

أ.د. عقيل جاسم دهش
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة
أ.م.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي
أمين عام المكتبة المركزية/ جامعة الكوفة

مقدمة التحقيق:

أولا: وصف المخطوط:

هذه النسخة من مقتنيات مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٩ر ٢١٦/ط.هـ)، وهي نسخة حسنة، خطها جيد، وكلماتها واضحة، ونسخها معتاد، وغير مشكولة، وليس فيها طمس أو تلف.

ويبلغ عدد أوراقها (٣٦) ورقة من القطع (٢١×١٧سم)، ويتراوح متوسط عدد أسطر الصفحة الواحدة بين (٢٢- ٢٣) سطرا، ومتوسط عدد الكلمات في السطر الواحد بين (٧- ١٠) كلمة.

وتوجد نسخة أخرى في مكتبة رفاعة الطهطاوي، تنسب الى أبي هاشم، وهي ناقصة إذ يبلغ عدد صفحاتها (٢٥) صفحة.

كما عثرنا على نسخة أخرى في معهد المخطوطات العربية برقم (١٦٢)، ويبلغ عدد أوراقها (٢٦) ورقة، وتأريخ نسخها في القرن الحادي عشر الهجري، وهي تنسب من طريق الخطأ الى الشيخ أبي هاشم الجبّائي المعتزلي المتوفى سنة ٣٢١هـ.

ثانيا: نسبة المخطوط الى مؤلفه:

هذه المخطوطة نسبت الى العلامة أبي هاشم من رجال القرن الثامن الهجري، وقد تعمد المؤلف عدم التصريح باسمه لموقفه المتشدد من قضية الإمامة وآرائه التي خالف بها جمهور العلماء. وقد كتب على

صفحة الغلاف أن المخطوطة نسخت في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا، ومؤلفها أبو هاشم، كان حيا سنة سبعمائة وسبع وثمانين للهجرة، كما كتب في الصفحة الأولى "هذا الكتاب طريق الاستقامة لمعرفة الإمامة تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي هاشم أيده الله تعالى بروح منه ورضي عنه".

وقد ذكر الناسخ في الصفحة الأخيرة من المخطوطة أن مؤلفها فرغ من تأليفها بمدينة حلب سنة سبع وثمانين وسبعمائة وهي من تصنيف العبد الصالح أبي هاشم أيده الله بروح منه ورحمه رحمة واسعة بمنِّه وكرمه، وكان الفراغ من نسختها يوم الجمعة المبارك ثالث عشر رجب الفرد الأصب الحرام من شهور سنة ألف ومائة وسبع وخمسين من الهجرة النبوية على يد العبد الفقير الحقير عمر البدراوي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، انتهى ما وجده كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده على نسخة الأصل وقابله مع بعض الأفاضل المصريين في مجلس واحد.

وعثرنا على نسخة أخرى في معهد المخطوطات العربية برقم (١٦٢)، وقد أثبت على صفحة الغلاف العنوان ذاته (طريق الاستقامة لمعرفة الإمامة)، ويبلغ عدد أوراقها (٢٦) ورقة، وتأريخ نسخها في القرن الحادي عشر الهجري، وهي تنسب الى الشيخ أبي هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبّائي من رجال القرن الرابع الهجري والمتوفى سنة ٣٢١هـ، وهو شيخ المعتزلة وإمامهم، وله من المصنفات (الجامع الكبير) و(الجامع الصغير) و(كتاب العوض) و (كتاب الإنسان) وغيرها، وهذا عارٍ عن الصحة لأن مؤلفها ذكر أحداثا تأريخية تعود الى القرن السابع الهجري ما قبل وما بعد سقوط الخلافة العباسية واستيلاء المغول على أغلب الأمصار الإسلامية.

ثالثا: عملنا في التحقيق:

١. التثبت من نسبة المخطوط الى مؤلفه، وقد ظهر لنا أن هذه المخطوطة تعود الى مؤلف مجهول من رجال القرن الثامن الهجري، وأثبت في صفحة الغلاف أن مؤلفها هو الإمام أبو هاشم الذي كان حيا سنة

٧٨٧هـ، وقد عثرنا على نسخة أخرى ناقصة في معهد المخطوطات العربية نسبت الى الشيخ أبي هاشم الجبّائي المعتزلي المتوفى سنة ٣٢١هـ، وأثبتنا عدم صحة هذه النسبة.

٢. قراءة المخطوط قراءة متأنية فاحصة، ومطابقة ما ورد فيها من أخبار وأحداث مع مصادر التراث الإسلامي ما أمكن.

٣. اتباع القواعد الإملائية الحديثة وعلامات الترقيم في كتابة النص المحقق

٤. تصحيح الأخطاء اللغوية في المتن والإشارة إليها في الهامش.

٥. تصحيح الكلمات التي ورد فيها تصحيف أو تحريف في المتن والإشارة إليها في الهامش.

٦. كتابة الآيات القرآنية التي وردت في النص المحقق بخط المصحف وتخريجها بالرجوع الى المصحف الشريف

٧. تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتب الصحاح والحديث.

٨. مطابقة الأقوال المأثورة بالرجوع الى مضانها في كتب التراث.

٩. نسبة الأبيات الشعرية التي وردت في النص المحقق الى أصحابها بالرجوع الى دواوين الشعراء وكتب الأدب.

١٠. وردت أبيات شعرية لم تنسب الى أحد من الشعراء في كل عصور الأدب، ونعتقد أنها للمؤلف.

١١. التعريف بالأعلام والرواة غير المشهورين الذين ورد ذكرهم في النص المحقق بالرجوع الى كتب التراجم والطبقات.

الصفحة الأولى من المخطوط وتشتمل على مقدمة الناسخ

الصفحة الثانية من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

مقدمة الناسخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وجب بعد معرفة الحكم جواب السؤال والصلاة والسلام على سيدنا وصحبه والآل، أما بعد فقد نظرنا هذه الرسالة ولما تأملنا جملها ظهر لنا أن فيها من الرد والتحامل على أمراء المسلمين الحاضرين وغيرهم من التصريح والتلويح الذي هو أبلغ من التصريح ما يوجب سترها بل تقطيعها لما نص عليه العلماء (رضوان الله عليهم) من أن الأمراء ولو كانت أمارتهم بالتغلب تجب طاعتهم ونصرهم ويجب الكف عن أذاهم شرعا لا سياسة فقط كما عقده بعض العلماء ومن تغلب وعمت طاقته تعينت على الجميع طاعته.

ووجهه ظاهر لأن الله أقامهم باختياره ولو شاء لأقام غيرهم والكلام فيهم مفسدة آيلة الى اختلاف كلمة الإسلام ولا نقاش لكل ما يجد للإمام بل صرحوا أنه يجب على كافة المسلمين الدعاء لهم بالإصلاح والتأييد وإن من التزم ذلك رزق خيرهم وسلم منهم والعكس بالعكس، وإذا كان هذا حكم التغلب منهم فما بالك بمن بايعه أهل الحل والعقد الذين هم من اجتمع فيهم ثلاثة، أمور العلم والعدالة والرأي، كما نص عليه البناني في حاشيته على الزرقاني على خليل في فصل الباغية وسلم فحيّاه (كنون والدهر)[١]، فراجع الجميع إن شئت فتأمل هذا ونحوه مما هو متواتر بين علماء المذاهب الأربعة يظهر ضرورة أن مثل هذا الطعن والتحامل إن لم يعززنا شرح كفاه ذلك فضلا عن طلب إشاعته وإظهاره وفي هذا كفاية ومقنع لمن له عقل ومسمع.

فبهذا أصدر قرار هيئة معارف الحكومة العربية الهاشمية دامت محروسة محمية حرر في ربيع الأول ....

النص المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

[فصل]: صورة السؤال:

سال سائلٌ فقال: ما قول علماء المسلمين، جعلهم الله هداة مهتدين، غير ضالّين ولا مُضلّين، في رجلين جرى بينهما ذكر أولي الأمر الذين أمر الله عز وجل بطاعتهم، من هم؟ فقال أحدهما: هؤلاء الملوك من الترك والمغول[٢] والبربر وأشباههم هم ولاة أمور المسلمين، وطاعتهم واجبة، ومعصيتهم معصية لله ولرسوله، واحتجَّ بقوله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[٣]، وبأنهم أهل شوكة، وبأن الناس قد أجمعوا على طاعتهم والانقياد لهم، ومخالفة الإجماع لا يحلُّ، واحتجَّ بأن الله تعالى ولاّهم ولو شاء ما كانوا ملوكا، وذكر قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله)[٤]، ولا نعلم اليوم أحدا ظاهرا غير هؤلاء، وقال الآخر: لا تحلُّ طاعة متغلّب إلاّ أن يكون قرشيا /١/ مستوفيا لشروط الإمامة، وأما غيره من المتغلّبين المفسدين في الأرض فما أحلَّ الله طاعة أحد منهم قط، وطال النزاع بينهما في ذلك، فبيِّنوا لنا المخطئ من المصيب بيانا شافيا، لمن سلطنة الإسلام؟ ولمن تجب الطاعة؟ وبم يستحق الإمامة؟ وأبسطوا القول ما تيسَّر، مستدلّين بكتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع المسلمين المتقين، الذين يكفر من خالفهم، أثابكم الله ووفقكم للصواب؟ فأجاب:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[٥]، وآتاه حكمة، مبيِّنة لمراده، مفصِّلة لجملة[٦] أحكامه، وكلٌّ[٧] منزَّلٌ من عنده تعالى ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾[٨]، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في أمره، يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد، لا رادَّ لأمره، ولا معقِّب لحكمه، ولا يسأل عمّا يفعل، وأشهد أنَّ سيدنا محمدا عبده المرسل، ونبيُّه

المفضَّل، أرسله رحمة للعالمين، بشيرا ونذيرا، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٩]، جعله خاتم النبيين، وختم بدينه كلَّ دين، وحكم في جميع ما في الأرض الى يوم الدين، وأوجب /٢/ طاعته على الإنس والجن أجمعي،ن ويحكم لمن أطاعه بالإيمان ودخول الجنان وعلى من عصاه بالكفران والخلود في النيران والنجاة كل النجاة في موافقته والهلاك كل الهلاك في مخالفته، ففي الإيمان عن من لم يرض بحكم أو حاكم الى غيره، فقال تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[١٠]، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)[١١]، يا لها رتبة اضمحلت دونها المراتب ومنقبة غرقت في ضحضاحها المناقب (صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين وأصحابه الذين شادوا منار الدين وضربوا على أعناق المعاندين ورضي الله عن التابعين بإحسان لهم الى يوم الدين وبعد فهذه مسألة عظيمة الشأن هي للدين كالأساس للبنيان بل هي لقبة الإسلام عماد ولإهمالها خفي الحق وظهر في الأرض الفساد وسمَّيتها طريق الاستقامة لمعرفة الإمامة وهذا حين نبدأ فنعتقد وبالله نهتدي لسبيل السداد كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها) [١٢]، قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[١٣]، الردُّ الى الله والرسول الرجوع حين الاستدلال الى الكتاب والسنة بالإجماع المتيقن، فامتثلنا أمر ربنا ورددنا ما تنازع فيه هذان المتنازعان الى حيث أمرنا ربنا، فوجدنا القائل الأول لا يخلو حاله من إحدى[١٤] حالتين: أن يكون جاهلا بالدين وأحكامه وحلاله وحرامه، فهو (يقفو ويقول ما ليس له به علم)[١٥]، (ويحسبه هينا وهو عند الله عظيم ومن الله)[١٦]، ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[١٧]، وأما أن يكون لله زنديقا ملحدا، قصده التلبس على ضعفاء المسلمين، الجاهلين بحقائق الدين، وأخبار

النبيين، وأحوال السلف الصالحين، فهو يحاول إطفاء نور الله تعالى ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[١٨]، وتالله ما يصدر هذا الكلام عن صدر سليم ولا فهم مستقيم، فأمّا قوله: إنَّ هؤلاء الملوك الترك والمغول والبرابرة وأشباههم من المتغلبين هم ولاة أمور المسلمين، فقول باطل، وكذب مفترى، وتبديل دين، لأن ولاة أمور المسلمين هم الأئمة من قريش، الذين هم رهط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعنصره، وسنبيِّن ذلك بالأدلة الشرعية، وأما قوله: إنَّ طاعتهم واجبة ومعصيتهم معصية لله ورسوله، فلعمري بلا مرية لقد أعظم على الله الفرية، لأنه لا واجب إلاّ ما أوجبه /٤/ الله في كتابه أو على لسان رسوله، ووالله ما أحلَّ الله قطُّ طاعة أحد من هؤلاء المفسدين المهتّكين لحرمات الدين، بل أوجب الله تعالى على كلِّ مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يضع سيفه على عاتقه، وينهض الى قتالهم وقتلهم، حتى ينقذ الإسلام وأهله من أسرهم، أو يموت شهيدا، ومن يخلف عن ذلك وهو قادر عليه، وأطاعهم وهو على معصيتهم قادر، فهو عاص لله ورسوله، معين على هدم قواعد الدين، وهلاك المسلمين، ونشر الفساد في العالمين، ومن أقام بأرض لهم عليها حكم وهو يقدر على التحول عنها فهو عاص لله ولرسوله، لأن إقامته بها تكثير لسواد أهل الفساد (ومن كثَّر سواد قوم فهو منهم)[١٩]، ولا يحلُّ لأحد أن يكون من المفسدين، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٢٠]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أنا بريء ممن أقام بين أظهر المشركين) [٢١]، وقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على وجوب الهجرة من ديار الكفر الى ديار الإسلام ومن ديار /٥/ الفسق الى ديار الطاعة[٢٢]، وعلى أنَّ المسلم يجب أن ينتقل الى الأرض التي يخفُّ فيها الكفر والفسق إذا لم يجد دارا محضة لأهل الإسلام والتقوى، ويشهد لصحة هذا الإجماع

مهاجرة الصحابة من مكة، وهي دار كفر وجاهلية، الى أرض الحبشة، وهي دار كفر وأهل كتاب، وهذا ما لم يزل المسلمون يتناقلونه علما وعملا خلفا عن سلف الى يومنا هذا، وأيضا فطاعة الظالمين ركون إليهم، قال تعالى ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[٢٣]، وكلُّ أرض لا يقام فيها حدود الله تعالى ولا يؤمر فيها بالمعروف ولا ينهى عن المنكر فيها، بل يؤمر فيها بالمنكر وينهى عن المعروف، ومن خالف أرويت من دمه السيوف، فهي دار كفر وفسق، فيدخل ساكنها تحت حكم ما ذكرنا من الإجماع، فإن قال قائل: كيف تجوِّز قتالهم وقتلهم وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبعضهم يصلي ويصوم ويحج؟ فالجواب: قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢٤]، وهؤلاء- بلا شك- محاربون لله ورسوله، وساعون في الأرض فسادا من وجوه عدة، كلُّ وجه منها مبيح /٦/ لقتالهم وقتلهم، ومن اعتبر أحوالهم وعرضها على كتاب الله وسنة رسول الله وجدهم مخالفين لله ولرسوله في جميع الأحكام، ما تركوا للإسلام حرمة إلاّ هتكوها ولا محرمة إلاّ انتهكوها لا يرعون للدين حرمة ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فمن خلافهم لله ولرسوله أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ البيعة على السمع والطاعة وأن لا ينازعوا الأمر أهله، والأمر في عرف الشارع والصحابة والعلماء حيث أطلق في مثل هذا الحديث هو الملك وأهل قريش العدول المستكملون شروط الإمامة كما سنذكرها إن شاء الله تعالى فخالفوا وانتزعوا الأمر من أهله وزاحوهم عنه ونصَّبوا بأيديهم رجلا من قريش يتلاعبون وتحيَّزوا على استخلاف من شاءوا من الأطفال المحجور عليهم بالشرع والعقل والعلوج الأراء الذين هم ومنافعهم مملوكة لواليهم، يخدعون بذلك الجهال موهمين أنهم مقيمون منار الشرع بحيث لا يخلو الزمان من إمام قرشي ويأبى الله والمسلمون إلاّ إماما عادلا

مطاعا، قال ابن عبد السلام المالكي[٢٥]: وخلافه ليس معها أمر ولا نهي ولا نفود كلمة لا معنى لها، ومن خلافهم /٧/ حرم دماء المسلمين وأبشارهم وأعراضهم، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[٢٦]، وقال تعالى ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢٧]، قال عبد الله بن عباس: هي من آخر ما نزل ولم ينسخها شيء، وعن النسائي من حديث بريدة بن حصين[٢٨] عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (قتل المؤمن عند الله أعظم من زوال الدنيا) [٢٩]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبته التي ودع فيها أمته عند اجتماعهم عليه بمنى عام حجة الوداع يوم النحر وبعرفة حيث أنزل الله عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٣٠]، ولم يعش بعد ذلك إلاّ نحو ثلاثة أشهر (ألا وإنَّ دماءكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام) [٣١]، وقال: (لا يحلُّ دم امرئ مسلم إلاّ بأحد ثلاثة النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة) [٣٢]، فخالفوا أمر الله وأمر رسوله في ذلك كله فتراهم يعمدون الى الرجل المسلم الذي لم يفعل واحدة من مبيحات دمه فيقتلونه صبرا شرَّ قتلة يقطعونه نصفين كما تقطع الحبة ثم يعلقونه كما يعلق الجزور ثم لا يمكنون أحدا من غسله ولا تكفينه ولا الصلاة عليه ولا دفنه، وهذه فروض كفاية وقد أجمع المسلمون على أن أهل /٨/ بلد من البلاد إذا تركوا شيئا منها وجب قتالهم كافة على ذلك ولو عددنا ما أهملوه من فروض الأعيان فضلا عن فروض الكفايات لقام من ذلك سفر ضخم، وتراهم إذا تأذوا بذلك المقتول ظلما أو حدا ألقوه في هوة كما تلقى جيفة الكلب أو الحمار ومن فعل شيئا مما يستباح به دمه أخذوا منه الرشوة فخلوا سبيله فيقطعون منه الأيدي في غير حد ويجلدون الظهر في غير حق، ومما خافوا فيه كل نبي ورسول وكل ملة وعلة وهتكوا به حرمة الشرائع ما وضعوه من الضرائب والمكوس على كل من قال لا إله إلاّ الله محمد رسول الله واستقبل قبلة المسلمين ودان بدينهم مع الذل والصغار كما تؤخذ الجزية من أهل الذمة بل أشرُّ حال من ذلك لأن أهل

الذمة تؤخذ منهم الجزية في كل سنة مرة والمكوس تؤخذ من أهل القبلة في كل وقت على كل عين بكل بلد، وجعلوا على ذلك قبالات وحوالات وأقاموا عليها ضمانا وأعوانا يأخذون على الناس كل طريق ويقعدون لهم كل مرصد فتراهم بكل سبيل لا يمرُّ بهم مسلم إلاّ روَّعوه وفتَّشوه وهتكوا حرمته وحريمه ويتفق من ذلك بقطين من بلاد مصر وبلاد الاسكندرية وبغداد وجميع عمال العراق وبلاد تبريز وشيراز وجميع بلاد الإسلام /٩/ حتى مكة والمدينة ما يستقبح الإنسان ذكره مما يحزن أولياء الأمة ويسعد أعداء الملة ومن اطلعوا عليه أنه سلك غير طريق إرصادهم وباع بضاعة في غير سوق قبالاتهم استحلوا ماله ودمه وعرضه وشهروه ونادوا عليه على رؤوس الأشهاد ثم لم يقنعوا بذلك حتى سموها الحقوق السلطانية وهي في الحقيقة الجهات الشيطانية ومن تسمَّى الباطل حقا أو تسمَّى الحق باطلا فهو كافرحلال الدم والمال بالإجماع، ومن أنكر شيئا مما ذكرناه فإن كان جاهلا علم فإن عاند بعد العلم قتل على الردة، وقد صرح أبو بكر الرازي في كتابه الذي ألفه في أحكام القرآن بأن دماء أصحاب الضرائب والمكوس مباحة وأنه يجب على المسلمين قتلهم ولكل أحد من الناس أن يقتل من قدر عليه منهم من غير إنذار لهم ولا تندم بقول.

فصل: واعلم أن أصحاب المكوس الذين هم الكاسبون على الحقيقة هم الملوك الآمرون بها الذين تجبى إليهم ويتصرفون فيها بأمرهم لا كما يفهم البليد والغبي من أن المكوس هو الضامن فقط، نعم هو مسلم آمن ومن لاق له ووالاه أو برأ له قتلا كان شريكه أيضا، والمكوس الأكبرالسلطان الآمر بذلك المعتد للمكوس ومن تراه على ذلك وسألت عنه من العلماء /١٠/ والعباد وغيرهم، قال الله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [٣٣]، ومن خلافهم للحق جهارا ما أظهروه في البلاد الإسلامية من البراطيل على المناصب الدينية، كالقضاء والشرطة والحسبة التي هي أعم الولايات نفعا و ضرا، فتتوسل به شياطين الإنس الى هذه المناصب الشريفة وتسموا قضاة المسلمين وهم في الحقيقة أعداء الدين وولاة الشياطين ولا يولون واحدا إلاّ بجملة مستكثرة وضريبة مقدرة فإن قصَّر أو زاد عليه غيره صرفوه

وولوا من زاد، فترى هؤلاء الشياطين الفساق الملحدين المتسمين بالقضاة والولاة المحتسبين لا يتركون قويا إلا أضعفوه ولا ضعيفا إلا أماتوه ليجدوا بذلك سبيلا الى أخذ ماله وإفساد حاله، فيا لله يا ضيعة الإسلام وأهله بين ذئاب ضواري تمزقهم، فالحكم بالحق معطل والمنصور لديهم من برطل وتبرطل فكم من يتيم ماله مستباح وكم من حرمة موطئة بالسفاح، وقد رأيت بخط من عاصرناه من العلماء المعتبرين على هامش كتاب التمهيد لابن عبد البر[٣٤] أن أخذ الرشوة على الحكم كفر مخرج من الملة عند طائفة من فقهاء المسلمين، وهو قول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، ومن خلافهم أن الله أمر بقتال اليهود والنصارى /١١/ ولكل من دان بغير دين الإسلام وأن لا يقروا في الأرض إلاّ على إعطاء الجزية والتزام الصغار أو الإسلام، فخالفوا الله في ذلك وسدوا باب الجهاد وهو فرض كفاية بل هو أعظم الفروض بعد الصلاة ولأجله تقصر الصلاة الى ركعتين ويفطر في رمضان، وقد علم بالإجماع الضروري أن أهل كل قطر من المسلمين يجب عليهم قتال من يليهم من الكفار وأن الإمام يجب عليه في كل عام أن يركب بنفسه الى دار الحرب أو يبعث جيشا دعاة مقاتلين، فعكس هؤلاء الفساق هذا الشعار العظيم فلا يقاتلون إلا من منع المكس وزاحمهم عليه وألبسوا أهل الذمة ثوب العز ورفعوا عنهم الصغار وولوهم على المسلمين وصرفوهم في نفوسهم وأموالهم فما تركوا من المسلمين شريفا ولا وضيعا إلاّ وليهودي أو نصراني عليه حكم، فترى الجماعة من المسلمين أذلة خاضعين يتضرعون إليه ويقبلون يديه ليخفف الوطئة عنهم وتراه يهددهم ويسبهم ويحكم في أموالهم وأبشارهم بما يشاء ويوقفهم مواقف الذل، فتراهم يحملون إليه الهدايا والتحف ويتكلفون ما يقدرون عليه ويؤثرونه بالطيبات على نفوسهم وأهليهم ويستخدمهم في كل ما يريد، وقد أخبرني جماعة من بلدان مختلفة متباينة من الفلاحين متواتر عندي من أخبارهم ما أفاد العام أن اليهود وكذا النصارى الذين يكونون عليهم يكلفونهم عصر الخمر /١٢/ وحملها الى منازلهم وكثير ما رأيناهم إذا تظلم إليهم متظلم من المسلمين قالوا: اجروه على شرح الديوان فيا لله ويا للمسلمين واغوثاه، ومن خلافهم أن الله تعالى نهى عن اتخاذ

اليهود والنصارى أولياء وأخبر أنه من تولاهم فإنه منهم، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣٥]، وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ﴾[٣٦]، وقال تعالى ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾[٣٧]، وقال تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[٣٨]، ولا ودَّ أعظم من اتخاذ الكافر أمينا على المال الذي جعله الله تعالى قياما للناس في أمر دينهم ودنياهم، وأعظم من ذلك اتخاذ اليهود والنصارى أولياء على النفوس وإدخالهم على نساء المؤمنين واطلاعهم على عوراتهم وتسميتهم حكماء وهم أسفه السفهاء فحالفوهم بالله واتخذوهم أولياء وبطائن وأوداء وأطباء وأمناء فلا يركنون إلاّ إليهم ولا يعولون في مهماتهم إلاّ عليهم حتى لو أخبرهم أصدق المسلمين بشيء لم يصدقوه حتى يسألوا الديوان والطبيب الكافرين، ومن خلافهم أن الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأمر بازعاجها من الوطن وحضَّ على هدم منازلها وإخماد نارها ومحو آثارها /١٣/ وأمر بالتنكيل بأهلها بالرجم والجلد والنفي والصلب والقتل والقطع وكرر الوعيد الشديد الذي تزول[٣٩] بهوله الجبال [و] الحديد، فحادوا الله في ذلك وخرقوا إجماع المسلمين وذللوا للفساق سبيل الفساد وأعزوا سفهاء الأمة بكل فاحشة وعناد فجعلوا للخمر والزنا واللياطة والقمار وغيرها من الفواحش أماكن معلومة وباسمها موسومة وضربوا عليها خراجا سموه ضمان الفرح، وهو لعمري ضمان الحزن والترح وأقاموا مشدين يحمونها فصار الفجرة يبارزون الله تعالى جهارا وينتهكون محارمه ليلا ونهارا لا يستطيع أحد لذلك إنكارا، هتكوا رواق الإسلام وأقاموا أسواق الآثام:

بالله يا أنصار دين محمد ترحوا على الدين الحنيف وعددوا

في كل يوم سنةٌ مدحوضة بين الأنام وبدعة تتجدد[٤٠]

ومن خلافهم أن الله تعالى حرم لبس الذهب والحرير على ذكور المسلمين وأخبر على لسان رسوله أنه إنما يلبسها من لا خلاق له وإن من لبسها في الدنيا /١٣/ لم يلبسها في الآخرة، ولا يخفى ما في الوعيد الشديد،

فخالفوا الله ولبسوا الحرير منسوجا بالذهب ومطرزا به فتراهم يحضرون الجمع والأعياد وغيرها من أيام زينتهم لا بسين ثياب الحرير وأطرزة الذهب ومناطق كالعرائس، ولقد لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال، وقد ذهب طائفة من علماء السلف والخلف الى تحريم لباس الحرير على النساء، وقد قال أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير على منبر مكة بمحضر من الصحابة والتابعين: (ألا لا تلبسوا نساءكم فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) [٤١]، رواه مسلم في صحيحه.

ومن خلافهم ما شاع وذاع واستفاض حتى ملأ الأسماع مما هم عليه من الفاحشة الخبيثة الملعونة، الملعون فاعلوها التي لم يجمع الله على قوم عصوه من أنواع عاجل العذاب ما جمعه على أهلها ولا ذمَّ أحدا من العصاة كذمِّه إياهم فتراهم يبذلون مال الله الذي جعله مرصدا لمصالح المسلمين القناطير المقنطرة فيصرفونها في أثمان العلوج المرد الصالحين لذلك الفعل الخبيث حتى صار المرد /١٣/ من أنفع ما يتوسل به إليهم من طلب الحوائج، فترى كلَّ فاسق إذا أراد نيل رتبة لا يصل إليها قدَّم صبيا أمردا حسنا فيصل به الى ما يريد فإذا لا طوا به حتى يلتحي ولّوه على طائفة من الناس فيصيرون في قبضته أسارى ومعه حيارى.

ومن خلافهم أن عظيمهم الذي يسمونه السلطان يقعد على كرسي في صفة امرأة من الذهب والحرير ويقدمون بين يديه كذلك الخدام فلا يدخل عليه شريف ولا وضيع إلاّ صاحوا به الأرض الأرض فيخرُّ له ساجدا فإن أبى أحد ذلك سفكوا دمه فيا لله هل في أنواع الكفر أعظم من إجبار الخلق على السجود لغير الله عز وجل.

ومن خلافهم أنهم جعلوا مال الله دولا وعبيده خولا واتخذوا البلاد أملاكا والمسلمين عبيدا فلا يكتسب مسلم كسبا من صناعة أو زراعة أو تجارة إلاّ صار إليهم يصرفونه في مساخط الله من الزنا واللواطة وشرب

الخمور وأنواع الفساد فيا لله هل في محاربة الله ورسوله والسعي في الأرض فسادا أعظم من هذه الأحوال، ولو ذهبنا نذكر ما هم عليه من الفساد في الأرض لضاقت الدفاتر وملَّ الناظر /١٤/ ولكن اقتصرنا على هذا القدر ليتنبه الغافل على ما سواه، فوالله ما يقول إن طاعة من هذه حالهم جائزة أو دماؤهم محقونة إذ لا جاهل مظلم الجهل أو كافر عظيم الكفر ملحد أضر على الناس من إبليس وأبلغ منهم في التلبيس.

فصل: وأما احتجاجه بالآية فحجة لا له كما سيأتي في القسم الثاني من هذه الرسالة إن شاء الله، واحتجاجه بها لطاعة من لا طاعة له تحريف للكلم عن مواضعه وقد علم ما على صانعه والله أعلم.

فصل: وأما احتجاجه بأنهم أهل شوكة فاحتجاج باطل لا يقوم على صحة برهان، بل البرهان قائم على بطلانه وليت شعري في أي آية أم في أي حديث وجد هذا الجاهل وأشباهه وجوب طاعة ذي الشوكة لشوكته مع فسقه وعدم شروط الإمامة فيه، ويقال لهذا الجاهل ولمن هو على مثل حاله: إذا كانت الشوكة موجبة لطاعة أهلها وهم متقوون بها على المظالم وارتكاب المحارم وإذلال المسلمين وهدم قواعد الدين، فالكفار والمحاربون أهل شوكة فهل تجب طاعتهم لشوكتهم؟ فإن قال نعم كفر ونعوذ بالله من احتجاج يؤدي صاحبه الى الكفر، وإن قال لا تناقض /١٥/ وليس هو بأول من احتج بهذه الحجة الباطلة لطاعة أهل الفساد بل قد كثر دوران الشوكة على ألسنة جماعة من يدعي العلم أو يدعى له وهم عنه بمعزل، ويقال له أيضا: هل كان رأس فساد هذه الأمة إلاّ طاعة ذوي[٤٢] الشوكة الذين تغلبوا بشوكتهم على ما ليس لهم حتى جعلوا ولاية أمر المسلمين بمنزلة أموالهم يورثها الرجل سفها ولده كما يورثهم ماله ويوصي جهالهم حتى صار الأمر في دينها ودنياها الى ما صار إليه وما أشكل الشيطان أجرى هذه الكلمة على لسان بعض إلا توصل الى إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتلقاها الجهال ودارت بينهم وصارت عندهم أصلا بنوا عليها فروعا صارت على الدين وبالا وللناس ضلالا، قال أبو حيان في تفسيره: "ولم يدفع أحد من علماء الأمة سلفها وخلفها وجوب ذلك، يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلاّ قوم من الحشوية وجهال الحديث

فإنهم أنكروا قتال الفئة الباغية بالسلاح مع ما سمعوه من قوله تعالى ﴿ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾[٤٣]، وزعموا أن السلطان لا ينكر عليه الظلم والجور وقتل النفس التي حرم الله، وإنما ينكر على /١٦/ غير السلطان بالقول أو باليد بغير سلاح"[٤٤]، قلت: هذا في السلطان القرشي الجائر والمجمع عليه، وأما غير القرشي فلم يقل أحد بعدم قتاله بل لم يزل أفاضل الصحابة والتابعين وتابعيهم قرنا بعد قرن شاهرين سيوفهم لقتال من أراد التغلب بشوكته من قريش دون استحقاق وهذا معلوم من حالهم لا يجهله من له أدنى إلمام بأخبار السلف، فأول من قام في الإسلام على أئمة الجور أبو عبد الله الحسين بن أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب ورضي لنفسه ولوجوه من أهل بيته من إخوته وبني عمه بالقتل ولا يدخلون تحت طاعة يزيد لفسقه وهو سلطان قرشي ذو شوكة ظاهرة من أقاصي ما وراء النهر الى أرض أفريقيا من بلاد المغرب ومن بلاد اليمن من البحر المحيط الى القسطنطينية، ولم يكن للمسلمين إذ ذاك سلطان غيره من جميع هذه البلاد شرقا وغربا وجنوبا وشمالا، ولم يظهر من يزيد شيء مما عليه ملوك زماننا من أخذ الرشا والمكوس وإتيان الذكران ولباس الحرير للخاصة والعامة وإخراج الأمر عن قريش البتة وترك الجهاد والاستبداد بجميع مال الله وافتراق الكلمة حتى إن البلاد الإسلامية /١٧/ فيها أكثر من مائة متغلب، كل واحد مستقل بنفسه، ولا يعترف بعضهم لبعض بالطاعة فليت شعري من إمام المسلمين من هؤلاء الفجار الذين[٤٥] يجب طاعتهم[٤٦] ويحرم الخروج عليهم[٤٧] وكلهم من غير قريش إلا زيدي اليمن المتسمى بالإمام في عصرنا وأميري مكة وكذا المدينة مع بدعة الأول والثاني وفسقه وكفر الثالث أعني أمير المدينة فإنه رافضي اثنا عشري غال.

وخرج عبد الله بن الزبير عن طاعة يزيد بمكة وخرج أهل المدينة بها من طاعة يزيد وخلفوه وفيهم ثمانمائة من أفاضل المهاجرين والأنصار وقتلوا عن آخرهم مع عشرة آلاف من تابعيهم ثم قتل ابن الزبير أيام عبد الملك بن مروان.

وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[٤٨] على عبد الملك ومعه بقية الصحابة كأنس بن مالك[٤٩] وأبي الطفيل[٥٠] وأفاضل التابعين كالحسن البصري[٥١] والشعبي[٥٢] وسعيد بن جبير[٥٣] وابن أبي ليلى[٥٤] وأشباههم ووجوه علماء البصرة.

وخرج زيد بن علي بن الحسين مع جلالته وعظمته وعلمه وتقواه على هشام بن عبد الملك بالكوفة، وبها قتل وصلب وكان أبو حنيفة[٥٥] ينبئ الناس /١٨/ سرا بوجوب نصره وحمل المال إليه. وخرج ابنه يحيى أيضا بالطلقان وقتل بها، وخرج زيد الإمام أقعده ابن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص[٥٦] على عمه الوليد بن يزيد، وكان إماما مجمعا عليه لفسقه في خاصة نفسه ولم يكن للمسلمين ملك سواه إذ ذاك.

وخرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن علي، وهما بران تقيان، على ابن عمهما أبي جعفر المنصور، ولم يكن للمسلمين ملك سواه إذ ذاك، وخرج عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[٥٧] عليه أيضا ببلاد الأندلس، واجتمعت كلُّها تحت طاعته، وهو المعروف بعبد الرحمن الداخل، واشتهر ملك الأندلس من عقبه ثلاثمائة سنة، وكان تقيا يلبس الصوف ويأكل خبز الشعير حتى قال الإمام مالك[٥٨] لمّا بلغته سيرته: (ليت أن الله تعالى زيَّن حرمنا بمثله)، فبلغ هذه الكلمة أبا جعفر فحقدها عليه، وانضمَّ الى ذلك فقواه أهل المدينة حين خرج محمد بن عبد الله بوجوب نصره وإنه لا يمين للمنصور ولا بيعة في أعناقهم له، وبسبب ذلك أمر المنصور بضربه بالسياط، فضرب وطيف به في المدينة وقد اتهم الشافعي[٥٩] أنه من شيعة العلويين وحمل الى الرشيد مقيدا من اليمن الى العراق، وقد اتهم أحمد بن حنبل[٦٠] بأنه أخذ البيعة لرجل علوي /١٩/ فأمر المتوكل بكبس داره ليلا، ولم تزل الأكابر والأفاضل وأهل العلم يخرجون على ولاة الجور واحدا بعد واحد، خصوصا أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع عدالتهم، وهمَّ أحمد بن نصر الخزاعي[٦١] إمام المحدثين ورأس العلماء العاملين بالخروج ببغداد على الواثق، وبايع الناس على ذلك، وأخذ وقتل وصلب رأسه ببغداد تسع سنين، وكان يقول[٦٢]: "كان أحمد بن نصر خليا فأخبرت أن رأسه يتلو في

الليل آية من القرآن فأتيت الى خشبته وقد نام العين فسمعته يقول ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٦٣] فاقشعررت منه"[٦٤]. فليت شعري جميع هؤلاء كانوا جهالا بدين الله أو فساقا، وهم خيار المسلمين وقدوة السلف الصالحين؟!. وما ذكرناه من هؤلاء السادة أمر مشهور منشور يعرفه كثير من العوام في الاسواق والمخدرات في الخدور لاشتهارهم واستفاضة أخبارهم، فلو كانت الشوكة حجة في وجوب الطاعة مع اختلال شرط من شروط الإمامة لكان أولئك الخلاصة أحق بالانقياد إليها، فإن قال قائل: قد انقاد جماعة من الصحابة والتابعين لقوم تغلبوا على الأمر بشوكتهم كمعاوية وعبد الملك وبعض بنيه ولا يظن بهم الانقياد /٢٠/ لغير الحق، وقد سكت جماعة عن الخروج كابن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص، فالجواب: إن بعضهم سكت وأظهر الانقياد ونازع بعضهم[٦٥] ولم يظهر ممن سكت ما يدل على استقباح فعل الشاهرين سيوفهم وليس عمل الصحابة حجة على بعض[٦٦] إذا اختلفوا فيجب الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله، والانقياد والسكوت ليس خلافا فلعلّهم كانت لهم أعذار تمنعهم من الخروج، نعم لبعضهم أعذار ظاهرة كعمى ابن عباس وابن عمر، قال الله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[٦٧]، ويدل على ذلك عدم امتثالهما لبيعة يزيد أيام معاوية، ومبايعة ابن عمر لعبد الملك كانت تقية لمّا راعه ما صار إليه المخالفون له وميل الناس الى الدنيا، قال تعالى ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[٦٨]، فإذا جازت تقية الكافر خوف شره عند العجز فتقية القرشي الفاسق في خاصة نفسه المجمع عليه المقيم لراية الجهاد أولى، وعلى هذا يحمل حال من سكت من السلف، وأيضا فإن الذين تغلبوا على الأمر بشوكتهم في زمن الصحابة والتابعين كانوا[٦٩] من قريش، ولم يكن /٢١/ معهم في زمانهم من قريش من هو أحق بالإمامة منهم، فكانوا[٧٠] لها أهلا لأن الدين كان في أيامهم قائما، وعنايتهم به شديدة، ورايات الجهاد منتصبة في كل ثغر، والإسلام ظاهر، وفي أيامهم فتحت أقاصي المشرق وأقاصي المغرب،

وجالت خيول العرب في الصين من خلافة سليمان بن عبد الملك[٧١]، وكذلك افتتحت بلاد الأندلس أيام الوليد[٧٢]، وأسلمت البرابر بأقاصي المغرب الأقصى، وانتهى الإسلام الى حيث أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: (زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها) [٧٣]، فلعله إنما انقاد له من انقاد من الصحابة والتابعين لهذا وخوفا من افتراق كلمة المسلمين، أمّا اليوم فليس للمسلمين اجتماع، بل في كل قطر متغلب يسوم الناس سوء العذاب، فإذا علم هذا فكلُّ شوكة يقوى بها صاحبها على معصية الله فكسرها واجب، فلا يحتجُّ جاهل بهذا لطاعة قوم أعلاج من أولاد النصارى والتتار مخافة للشرع والعقل والفطرة ولما عليه جميع الأمم على اختلاف مللها ونحلها، أما مخالفتها للشرع فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) [٧٤]، ولا ريب في أنَّ من تغلب في شوكة على أمر ما لا يستحق /٢٢/ أنه عاص لله ولا طاعة له، وثبت عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الأئمة من قريش وأن الناس تبع لهم[٧٥]، ومن جعله الله متبوعا فلا يحلُّ لأحد أن يجعله تابعا، ومن جعله تابعا فلا يحلُّ لأحد أن يجعله متبوعا، أمّا مخالفتها للعقل والفطرة فلأنَّ الخلق مجبولون على الأنظمة من انقياد الأراذل للأماثل، وهذا معلوم بالضرورة في جميع الحيوان العاقل وغير العاقل، وأمّا مخالفتها لما عليه جميع الأمم فإن استقرأنا سير الأمم الخالية فلم نسمع بأنَّ أمة من الأمم انقلبت فصار عبيدها ملوكها وملوكها عبيدها غير هذه الأمة، نعم وقع نظير هذا في بني اسرائيل مدة يسيرة بعد موت سليمان (عليه الصلاة والسلام)، فغلب عبد من عبيده على بعض أرض فلسطين أيام ملك سليمان، ولقد صدق القائل:

ساداتُ كلِّ أناس من نفوسهم وساداتُ المسلمين الأعبدُ القزمُ[٧٦]

فصل: وأما احتجاجه بأنَّ الناس قد أجمعوا على طاعتهم والانقياد لهم ولا يحلُّ خلاف الإجماع فهو أول دليل على جهله وأنه كان لا يعي ما معنى الإجماع، وسخافة هذا الاحتجاج ظهور فساد مغن عن التشاغل بإفساده /٢٣/.

فصل: وأما احتجاجه بأنَّ الله سبحانه وتعالى ولاّهم ولو شاء ما كانوا ملوكا، فإن أراد أن الله تعالى أمر بولايتهم في كتابه أو على لسان رسوله فقد كذب على الله ورسوله ،وإن أراد أن الله قدَّر ذلك وسبق في علمه فمسلَّم، ولكن الاحتجاج بالقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باطل مفض الى الكفر، بل هو عين الكفر، وهو احتجاج الجبرية من القدرية[٧٧]، ومذهبهم في الاحتجاج به باطل لأدائه الى إسقاط التكاليف الشرعية، ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا تقبَّل من إبليس وفرعون وغيرهما من الكفار، إنما الحجة في ما أرسل الله رسوله، وما قدَّر الله فلا حجة لأحد فيه بل يجب الإيمان به ولا يحتج به، ولقد ضلَّ بالقدر طائفتان، الجبرية قالوا: العبد لا إرادة له ولا فعل، والعدلية[٧٨] قالوا: لا قدر، والحقُّ الجمع بين الأقدار والأسباب، والكافيات في قضاء الله وقدره على قسمين: منها ما قضاه وارتضاه وأمر به ووعد على فعله الثواب وعلى تركه العقاب، ومنها ما قدَّره وسخَّطه ونهى عنه وحذَّر منه وتوعَّد على فعله بالعذاب وعلى تركه بالثواب فكفى الكفار وفجور الفجار وسلطنة الأشرار وفسق الفاسقين وظلم الظالمين قدَّره الله وسخَّطه /٢٤/ وحذَّر منه وسماه منكرا وأمر بتنفيره وإنكاره وإيمان المؤمنين وطاعة المطيعين قدَّره الله وارتضاه وسماه معروفا وأمر به وحذَّر من تركه، وليس لأحد أن يقول: لم فعل ذلك، يفعل في ملكه ما يشاء، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[٧٩]، ليس لأحد على الله حجة بعد الرسل بل (لله الحجة البالغة)، إنما على العبد أن يفعل ما أمر به ربه، ولا يسأل عما لا يعنيه، أما قوله: لو شاء الله ما كانوا ملوكا، فهو قول جاهل مظلم الجهل أو كافر عظيم الإلحاد من جنس قول المشركين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾[٨٠]، ولقد أجرى الشيطان هذه الكلمة على ألسنة كثير من الناس حتى لا يكاد يرى إلاّ من هي جارية على لسانه، وهي من أعظم مكائد الشيطان التي كايدها الناس حتى تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين[٨١] هما ركن الإسلام والإيمان، وقطبه الذي يدور عليه رحاه، ويقال لهذا

الجاهل ولمن هو على مثل حاله: أليس الله خلق الكفار وجعلهم كفارا وأمر بقتالهم ووعد على ذلك الثواب، ولو شاء ما سرق السارق وقد أمر بقطع يده، ولو شاء ما زنى الزاني وقد أمر بجلده ونفيه إن كان بكرا ورجمه إن كان ثيبا، /٢٥/ ولو شاء ما خلق الشيطان وسلَّطه على بني آدم وقد أمر بعداوته وحذَّر من مبايعته، وكذلك كلُّ شر خلقه الله وأمر باجتنابه وتغييره، فمن قال: إنَّ هذه الأشياء يجب إقرارها والرضا بكون الله خلقها وقدَّرها في العالمين فهو أكفر الكافر[٨٢]من اليهود والنصارى الذين قالوا: نؤمن ببعض المشروع[٨٣] ونكفر ببعض، وهذا القائل كفر بكل[٨٤] [المشروع] لأنه إذا التزم هذا المذهب أسقط الشرائع، وقد رأينا بالبلدان التي دخلناها بمصر والشام والعراق والحجاز كثيرا ممن يذهب هذا المذهب، يقولون: العبد ليس له اختيار ولا استطاعة إنما هو مع ربه كالميت مع الغاسل والسفن مع الريح، وخروج هذا المذهب إنما كان من ملاحدة الصوفية الذين هم أصل كلِّ بلية، فوقع بذلك أهل الجهل في محارم الله وإسقاط فرائضه، وقد حكي أنَّ فقيها ممن كان يذهب هذا المذهب كانت له بنت بكر فلم يشعر بها يوما إلاّ وقد ولدت صبيا، فقال لها: ما هذا؟ فقالت: القضاء والقدر، فلم يزدها أن قبَّلها، وقال: الحمد لله الذي أخرج من ظهري من يقول بالقضاء والقدر فلا يرى فاعلا إلاّ الله، ويقابل هذه الطائفة طائفة أخرى من القدرية، يقال لها /٢٦/ (المشركية)، وهم المعبدية الذين قالوا: إنَّ القدر والخير من الله والشر من الشيطان، وهم مجوس هذه الأمة، والمذهب الحق التوسط بين المذهبين، وهو الإيمان بالقدر والعمل بالشرع، وإذا علم هذا فسلطنة الأشرار وتغليبهم على الأخيار من جملة ما قدَّره الله وابتلى به الخلق وأمر بإنكاره وتغييره، ومن نازع فهو جاهل أو فاسد التمييز أو ملحد في الدين، وسبب ضلال من ضلَّ في هذه المسئلة عدم تفريقهم بين الأمر الكوني الذي هو القدر وبين الأمر الشرعي الذي هو الأمر والنهي، فالأمر الكوني منه محبوب لله مقدر كإنزال الرسل وغلبة من غلب منهم ومن خلفائهم كإيجاد آدم وتكثير ذريته ومنه أعني الأمر الكوني ما يكرهه الله مع إيجاده له كالشيطان وتغلب الفجار على الأخيار وقتل من قتل من الأنبياء وأتباعهم، والأمر الشرعي

محبوب لله كله ومنه ما لم يقدر ولا يسقط التكليف لعدم التقدير بالإجماع المتيقن المقطوع به، ومن نازع في هذا فهو سوفسطائي ومعاند [و] مباهت أو ملحد يريد كيد عباد الله وصدهم عن سبيل اليقين (عليهم الصلاة والسلام).

فصل: أما احتجاجه بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تزال /٢٧/ طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)، فلا حجة له فيه، بل هو حجة عليه لأن الظهور في لغة العرب التي بها خوطبنا على ثلاثة معان[٨٥]، أحدها القهر والغلبة ولا يجوز حمل الحديث عليه لأنه يقتضي الذنب فيكون معناه غالبين قاهرين للحق أو يكون معناه قاهرين للناس على الحق، وهذا غير مشاهد إلاّ أن يحمل على القهر بالحجة وهذا حق موجود في كل أمة، ويؤيده قوله (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم)[٨٦]، وصاحب الشوكة غير مخذول، نعم هو مخذول بالحجة ولا تضرُّ الحجة شوكته إلاّ مع اقتران شوكة أخرى، الثاني التجلي والانكشاف، تقول: ظهر لي الشيء أي تجلى وانكشف بعد أن كان مستورا، الثالث الاطلاع على الشيء والظفر به، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾[٨٧]، أي أطلعه، قال الشافعي: "وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عموم ظهوره حتى يأتي دلالة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تدل على خاص دون عام أو باطن دون ظاهر"[٨٨]، قلتُ: قول الشافعي هذا ركن عظيم وأصل من أصوله وعليه الإجماع من أهل كلِّ ملّة ونحلة إلاّ ما حكي عن الباطنية[٨٩]، وهم كفار بالإجماع، والأول غير مراد للضرورة الحسية حتى لقد قال أحمد بن حنبل في زمان أيام ملك بني العباس: /٢٨/ "إن لم يكونوا -أي الظاهرين على الحق- أهل الحديث فلا أدري من هم"[٩٠]، وكذلك قال غير واحد من السلف، فلم يبق إلاّ المعنيان الآخران، وهما الانكشاف والاطلاع والظفر والقهر بالحجة، هذا وجه حمل الحديث عند علماء الشريعة، وقد اعتبرنا أحوال المتغلبين في جميع أحوال البلاد الإسلامية من شاهدناه منهم ومن بلغنا حاله بطريق الاستفاضة والتواتر الموجب بالعلم

الضروري، فلم نجد أحدا منهم بهذه الصفة، بل وجدناهم قاهرين لأهل الحق لا حظين لهم متعصبين متعدين منزلين لهم منزلة أهل الذمة في عصر الصحابة لا في عصرهم ظلمة غشمة منتهكين لحرمات الدين متهتكين لمحارمه وإن كان بعضهم أقل شرا من بعض، وكلُّهم مشتركون في أكثر أنواع الباطل، كأخذ المكوس، وقتل النفوس، وشرب الخمور، وإتيان الذكور، ولبس الحرير والذهب، وموالاة اليهود والنصارى، وتقرير الكفار والصد عن غزوهم، وتقرير أهل البدع والإلحاد وحمايتهم، كالنصيرية[٩١] والحاكمية[٩٢] والاسماعيلية[٩٣] والرافضة الاثني[٩٤] عشرية[٩٥] والحكوية والإلحادية، المتسترين بالانتساب الى الإسلام، وضررهم على الملة الاسلامية أعظم من ضرر اليهود والنصارى لأنهم عرفوا بالكفر عند العامة، وهؤلاء الطوائف التي ذكرناها لا يكشف أحوالهم إلاّ فحول العلماء السلفيين القائمين /٢٩/ في مراتب المجتهدين في ميادينهم، وهذه الطوائف الفاجرة الكافرة موجودة ومتوفرة في بلاد الشام والقاهرة وبلاد العراق، الروافض الظاهرة متظاهرة بسبِّ خيار الأمة وتكفيرهم ودعوى تبديل القرآن وتغيير أحكام الإسلام بالحيلة[٩٦]، والمشاهرين وقد شاهدنا منهم ما يبكي العاقل ويضحك الجاهل وبينهم وبين بغداد يوم وهم تحت سلطانها وبينهم وبين الشام عشرة أيام وتجارهم تتردد إليه والى مصر بالأموال الجزيلة ولا عذر لأهل الشام في التخلف عن غزوهم وكيف يغزونهم وبلاد الشام مملوءة منهم سهلا وجبلا، والفرنج تجلب الخمرة الى بلاد الشام جهارا ويؤخذ عليه المكس ويكتب في الديوان زيت جبلي، فياليت شعري أيقول قائل: إنَّ الحديث ينطبق[٩٧] على هؤلاء وأنهم عصابة الحق وإن اعتبر حال ملوك الأرض اليوم وجد بينهم وبين الإسلام بل بينهم وبين العقل أبعد مما بين المشرق والمغرب وأراهم في واد والإسلام في واد، وقد أحسن القائل إذ [٩٨] يقول:

سارت مشرقة وسرت مغربا شتان بين مشرق ومغربِ[٩٩]

فصل: فإذا علم هذا فقد قام البرهان على أنه لا تزال طائفة من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

مطلعين على الحق بالحجة يعلمونه عاضين عليه بالنواجذ ثابتين عند زيف المبطلين وتحريف الملحدين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا أعنة الفتنة أولياء الشياطين وأعداء الرحمن شيعة هولاكو وجنكيز خان، والبراهين الدالة على فساد هذه الأمة ومتابعتها لمن تقدمها من الأمم كالفرس والروم واليهود والنصارى كثيرة مستفيضة متواترة لا تحتمل التأويل منها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث الفرقة: (إنَّ الله اطلع على أهل الأرض فمقتهم شرقهم وغربهم وعجمهم وعربهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب) [١٠٠]، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتتبعنَّ سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه وراءهم) [١٠١]، قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: فمن الناس، وفي لفظ: (لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون السالفة فخلاها، قيل: يا رسول الله كفارس والروم، قال: فمن الناس إلاّ أولئك)، وفي لفظ (وستفترق أمتي سبعا وسبعين فرقة [كلهم] في النار إلاّ واحدة)[١٠٢]، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي،[و] قوله[١٠٣]: (إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا /٣٠/، قيل: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: الزم جماعة المسلمين وإمامهم، قيل: أرأيت إن لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام، قال فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[١٠٤]، والأحاديث في هذا الباب كثيرة دالة منتجة ضلال هذه الأمة وأخذها بسنن الكفار والفجار قبلها وأن القليل يبقى منها على الحق، ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾[١٠٥]، وتبقى طائفة على الحق في كل أمة يحفظ الحق بها حتى لا تخلو الأرض عن قائم لله بحجة عابد له بالدين الخالص، ومن أنكر ما قلناه فهو جاهل أو مباهت، وقد رأينا ولله الحمد في البلاد وورد علينا من غيرها أفراد من هذه الطائفة نزاع القبائل متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ممتلئين حمقا وغضبا على أهل زمانهم ماقتين لهم ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾[١٠٦]، ألسنتهم رطبة بذكرالله وقلوبهم قاسية على أعداء الله

وأجنحتهم منخفضة للمؤمنين وكلمتهم لينة للمتقين خاشعين في صلاتهم يصلون كما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحابه بطمأنينة وسكون وخشوع لا ينفرون نفر المنافقين وليسوا في صلاتهم ساهين، هيأتهم رثة، ظاهرهم الذل /٣١/ وباطنهم العز، من لم يعرفهم ظنهم سوقة أو مجانين ومن خالطهم وجدهم ملوك النفوس أصحاب العقول، نقهاء القلوب، لا يتبعون كل ناعق، يعرضون أقوال الخلق وأعمالهم على الشريعة فما وافق قبلوه وما خالف طرحوه، يحاسبون أنفسهم على كل دقيقة وجليلة، قد هجروا الأوطان والعادات ولجأوا الى ربِّ الأرض والسموات، نسأل الله نصر جماعتهم ونصب رايتهم وظهور إمامهم، والله المستعان على هذا الزمان الذي دفعنا إليه، وقد غشيت أهله ظلمة الجهل وانطمس فيه نور العلم، فهم يتخبطون فيها لا يهتدون سبيلا ولا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، واللهُ أعلم.

فصل: وأما الثاني وهو القائل: لا تحلُّ طاعة متغلب إلاّ أن يكون قرشيا واحدا مستوفيا لشروط الإمامة، فقوله حقٌّ، عليه نور الإيمان، مرض للرحمن، مرغم للشيطان، وهو الصدق الذي لا يعدل عنه ولا يعدل على سواه، وهو قول جميع علماء السلف والصحابة والتابعين وعلماء الأمصار في كل بلدة، فإذا علم هذا فاعلم أن الإجماع منعقد على أن الله تعالى فرض على جميع المسلمين في كل زمان و بكل مكان إذ لا يخلو الزمان والبلاد والعباد عن إمام قرشي متصف بصفات شرعية /٣٢/ مجمع عليها إن اختل منها شرط فسدت إمامته، تصدر عنه أمور الناس وترد عليه، ومتى تركوا أثموا ودخلوا في ذمة الفساق وإن تركوا نهيه كفروا وكانوا من أهل النفاق لأن الناس رعية لا تصلح إلاّ براع يرد شاردها ويصلح فاسدها ويربي صغيرها ويوقر كبيرها ويرحم مسكينها ويجبر كسيرها ويحميها من الآفات ويردها عن موارد الهلكات فهو خليفة رسول الله في أمته وأمين الله على بريته، فهو القطب الغوث الفرد الجامع لا ما يدعيه ولاة المتصوفة أهل الخيالات والجهالات والضلالات، أما كونه القطب فلأن أمر الدين والدنيا يدور عليه، وأما كونه الفرد فلأنه لا يكون إلاّ واحدا للإجماع الضروري المتيقن المقطوع به سلفا وخلفا على أنه لا يحلُّ أن يكون في جميع معمور

الدنيا إلاّ خليفة واحدا خلافا لبعض الزيدية[١٠٧] والكرامية[١٠٨] القائلين بجواز نصب خليفتين في قطرين متباينين لعسر مطالعة الواحد إذا كان بالشام أو غيره بأخبار الصين والأندلس وذلك مفض الى ظهور الفساد لخفاء بعض الأمور على الإمامة، والإجماع قد تقدَّمهم فمنهم خارقون له ولا يبعدون عن الكفر /٣٣/ بعد العلم به، ولعمري لا من أدرى من أهل القطر في دعواه الجهل بالإجماع في هذه المسألة حتى لقد رأينا غير واحد من اليهود والنصارى الوافدين من الأندلس ومن خراسان يعلمون ذلك من المسلمين، وأما كونه الغوث فلأنه غوث كلِّ ملهوف وملجأ كلِّ مظلوم، وأما كونه الجامع فلجمعه خلال سؤدد الدين والدنيا التي لا تشترط إلاّ فيه واجتماع الناس تحت لوائه في كلِّ بلد وقطب فهو الذي يصحُّ للمنشد أن يقول حين يراه:

يا منْ نلوذُ من الزمان بظلِّهِ أبدا ونطردُ باسمهِ إبليسا[١٠٩]

فهو الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام الذي يصلح الله به شأن الأمة وتدرُّ معه البركات ويقوم به أمر الدين والدنيا ويُسَرُّ به الخالق والمخلوق.

فصل: وأما السؤال عن سلطنة الإسلام لمن هو؟ فنقول- وبالله نتأيد: سلطنة الإسلام التي هي الإمامة والخلافة التي يتلقب صاحبها بأمير المؤمنين لقريش وهم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة لصلبه دون سائر قبائل العرب والعجم، ولا تجوز لمولى لهم ولا حليف ولا لمن أمه قرشية وأبوه غير قرشي ولا لجرهمي وتجوز لمن أمه غير قرشية عربية أو أعجمية حرة أو أمة، ومن ادعاها من غير قريش فهو ظالم متعد لحدود الله /٣٤/ يجب على كل مسلم قتاله، وسواءٌ قهر الناس بسيفه أو عهد إليه قرشي، وليست مختصة ببطن من بطون قريش بل هي تابعة لجميع قريش، هذا ما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين، وعلى هذا كان جميع الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع فقهاء أهل الحديث وأهل الرأي إلاّ من شذّ كالراوندية[١١٠] الذين خصوها ببني العباس والزيدية الذين[١١١] خصوها بولد علي والأزارقة[١١٢]من الخوارج الذين أجازوها في غير قريش، وهذه الطوائف الأربعة مبتدعة ضُلاّل خارقون للإجماع الضروري لا يخفى إلحادهم إلاّ على من لا

يعلم حقيقة مذهبهم ولم يجتمع بهم، فخلافهم ليس خلافا يعتد به، وقد كان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بني تيم بن مرة وكان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من بني عدي بن كعب وعثمان بن عفان من بني أمية وعلي (عليه السلام) من بني هاشم، والحق أنَّ هؤلاء هم الخلفاء الراشدون خلفاء النبوة الذين أعز الله بولايتهم الإسلام وأمر بالاقتداء بهم، وفي أيامهم جليت ظلمة الكفر وظهر نور الإيمان، ففي خلافة الصديق قتل رأس الكفر وطاغية الملحدين مسيلمة[١١٣] الكذاب /٣٥/ وأهل الردة ودخلت العرب طوعا وكرها في الإسلام وتجهزت الجيوش لغزو فارس والروم قومي كسرى وقيصر الذين هما أعظم الملوك في الأرض في ذلك الزمان، وحوصرت دمشق، وفي خلافة الفاروق افتتحت أرض فارس وجميع بلاد الشام وبلاد مصر وهرب كسرى وقيصر واستقلت العرب على كنوزهما وإنفاقها في سبيل الله، بشَّرهم بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي خلافة عثمان قتل كسرى يزدجرد آخر ملوك فارس وانقطعت دولتهم بعد اتصالها بثلاثة آلاف وسبعمائة وسبع وثلاثين سنة، وخمدت نارهم التي كانوا يعبدونها بعد اضطرامها ألف عام وثمانين عام الى آخر الدهر، وارتفعت أيدي الروم عن جميع البلاد الشامية وانحصروا في جزائر البحر، وكان في خلافة علي [عليه السلام] قتل الخوارج الغلاة المتنطعين وقتال البغاة المنازلين الخارجين عن طاعة إمام أهل الحق ثم انتقلت ملكا بالقهر والغلبة من غير استشارة أهل الحل والعقد الى بني أمية واحدا بعد واحد ثمانين سنة غير أيام ابن الزبير أمير المؤمنين وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد المعروف بالناقص، هؤلاء الثلاثة أئمة عدول وولاة حق، ثم انتقلت ملكا الى بني العباس بالقهر والغلبة خمسمائة وأربعة وعشرين عاما، وكانوا ظلمة غشمة غير المهتدي بالله أبي عبد الله محمد بن الواثق بن المعتصم فإنه كان إماما تقيا، وفي أيامهم افترقت كلمة المسلمين فخرج عن طاعتهم الأندلس، فظهر القول بخلق القرآن وظهرت الملاحدة وأهل كلِّ بدعة وظلالة وشربت الخمور جهارا واستبدوا بمال الله وأسرفوه في البناء وأثمان القيان والغلمان حتى اجتمع في دور الخلافة زمن

المعتصم ستون ألفا من المماليك الأتراك، كلهم شراؤه وكان نوبة الفراشين بدار الخلافة أربعة آلاف فراش، وفي زمن المقتدر اجتمع بدار الخلافة مع ضعفه أربعة آلاف عبد أبيض وثلاثة آلاف عبد أسود وثمانية وثلاثون ألفا ستر منها ما هو مخوص بالذهب ومنها ما هو حرير مصحت، وسقطت دواوين العرب وضعفت دولة الأحرار وظهرت دولة العبيد الأتراك وتغلبوا على بني العباس يخلعون ما شاءوا /٣٦/ ويولون ما شاءوا فضعفت بذلك دولتهم وذهب المتغلبون في الأقطار كصاحب الزنج[١١٤] والقرامطة[١١٥] وبني عبيد[١١٦] ملوك القاهرة وبني بويه[١١٧] والسلجوقية[١١٨] وتبددَّ شمل الملة الإسلامية وغلبت الفرنجة على بيت المقدس وأكثر بلاد الشام ودامت عليهم النعمة وأخلدوا الى الرفاهية وتشبهوا بالأعاجم الذين حذَّر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مشابهتهم وخرجوا عن زي العرب وعن شعار دينهم فصاروا أكاسرة في الإسلام وامتدَّ عليهم رواق حلم الله وذكرهم بالمصائب وتغلب الفساق عليهم فلم يرعووا ولم يتوبوا فبعث عليهم شرار خلقه المغول التتار قوم جنكيز خان فخربوا البلاد وانتهبوا الأموال وسبوا الذراري وحرَّقوا المصاحف وقتلوا العلماء والعباد فلم يرعووا فبعث هولاكو فخرب العراق وسفك دماء أهله وانتهب أموالهم وقتل الخليفة المستعصم[١١٩] وهو الثامن والثلاثون من بني العباس وعلى رأسه انقرض ملكهم وذلك سنة ست وخمسين وستمائة وفسدت الدنيا وكان المستعصم ضعيفا مهيبا دينا في نفسه مغفلا /٣٧/ فدهي الناس به وصدق قول الشاعر:

ودهى العباد بلينه المستعصمُ[١٢٠]

وصارت بلاد الشرقية خرابا من أطراف الصين الى أطراف الشام واستباحت المغول بلاد خراسان وما وراء النهر وأذربيجان والعراق وأرض الروم وبلاد الشام وهلكت بنو العباس الى يومنا هذا وهلك أهل الأقاليم معهم ودمَّرهم الله تدميرا وذاقهم وبال أمرهم حيث اتخذوا مال الله دولا وعبيده خولا واستعانوا بنعمة الله على معصيته فسبحان من لا يزول ملكه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[١٢١]، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[١٢٢]، وكانت مصيبة عظيمة

لم تصب أمة من الأمم بمثلها، وسبب ذلك تعدي حدود الله تعالى ومخالفة أمره وظهر صدق قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لقريش: (إنَّ هذا الأمر لا يزال فيكم وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا فإذا عملتم ذلك بعث الله عليكم شرار خلقه فألتحوكم كما يلتحي القضيب)[١٢٣]، وقوله: (يهلك أمتي هذا الحي / ٣٨ / من قريش، قيل: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم) [١٢٤]، وقوله: (سيكون هلاك أمتي على يدي أغيلة من قريش)[١٢٥]، ووافق في هذه الحادثة موت الصالح الأيوبي بن الناصر صاحب حلب ودمشق من هولاكو لمّا دخل الشام وضرب حلب وقتل أهلها ووثب مماليك الصالح بمصر ونصبوا واحدا منهم ولجأ الناس إليهم لمّا دهمهم من أمر المغول الكفرة وقتل الخليفة واضطراب بني أيوب وسموه بالسلطان وقهروا المسلمين وغلبوهم على أمرهم وغلب المفسدون على الأقطار بالمشارق والمغارب وصاروا يتلاعبون بالدين والدنيا وبالناس وأنشد لسان الحال:

يا أُمَّةً لعبتْ بدين نبيِّها كتلاعبِ الصبيانِ بالأوحالِ

أشممتموا أهلَ الكتاب بدينكُم واللهُ لا يرضى بذي الأفعالِ[١٢٦]

ولا يزداد الأمر إلاّ شدة ولا الناس إلاّ إدبارا إلاّ أن يبايعوا رجلا من قريش يجمع شمل الأمة ويصلح شأنها ويلمُّ شعثها، وإلاّ فلا سبيل لصلاح هذه الأمة إلاّ لقريش العدول المرضيين المستكملين لشروط الإمامة لعلمه أن صلاح /٣٩/ البلاد والعباد لا يكون إلاّ بذلك، ومن اختار لنفسه ما اختاره الله تعالى لها لم يفلح حتى يرضى باختيار الله له، قال الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[١٢٧]، وقد قضى الله تعالى بسلطة الإسلام لقريش فمن لم يرض بذلك فلا أرضاه الله.

فصل: نذكر فيه طرفا من الأدلة ننبه به على أن الإمامة لقريش خاصة دون غيرهم من سائر الناس، قال الله تعالى مخاطبا لنبيه (عليه الصلاة والسلام): ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[١٢٨]، وقالت[١٢٩]

طائفة من السلف: المراد بهذا الذكر الذي خصَّ به هو وقومه الإمامة التي هي سياسة العالم، قال: ولا يجوز أن يكون المراد به القرآن لأنه ذكر له ولقومه ولكل من بلغ من أهل الأرض، قالوا: ويرشدك الى ذلك قوله (وسوف تسألونَ) وهو سؤال خاص عن أمر خاص، وهو رعاية للأمة، قالوا: والذكر يطلق في اللغة على الشرف، والإمامة[١٣٠]، وشرف في الدنيا والآخرة لمن أخذها بحقها، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (قدموا قريشا ولا تقدَّموها)[١٣١]، وقال: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن)[١٣٢]، وقال: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس /٤٠/ اثنان)[١٣٣]، وهذا خبرٌ بمعنى الأمر، والسنن النبوية في هذا الباب كثيرة جدا مستفيضة مشتهرة، وأجمع المسلمون على وجوب العمل بظاهرها وحملها على الفريضة.

فصل: واعلم أن أفضل الأمم من لدن آدم الى قيام الساعة العرب، لقول الله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[١٣٤]، وكان المخاطبون بهذه الآية عربا، ولأن الخلافة التي هي رئاسة الدين والدنيا في قريش وهم بطن من بطون العرب، ولأن الرسول الخاتم سيد ولد آدم منهم، والقرآن الذي هو أفضل الكتب المنزلة بلغتهم، وأمر الله تعالى جميع ولد آدم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا أيضا بالسجود الى جهة الكعبة وهي بجزيرة العرب، وبها حرم الله وحرم رسوله اللذان لا حرم لله في الأرض سواهما، وأمر الله تعالى بتنزيه أرض العرب عن اليهود والنصارى وعن كلِّ كائن وكفى بذلك شرفا، فأرض العرب قبلة لأهل المشارق والمغارب والجنوب والشمال، فسيرى ذو البصيرة أهل الأرض أوقات الصلاة في كلِّ جهة وفي كلِّ بلد قائمين خاضعين راكعين ساجدين لله حول جزيرة العرب كالملائكة ﴿حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[١٣٥]، ولم يجعل الله لأمة من الأمم على العرب /٤١/ ولاية شرعية لتخصيصه إمامة الملة بقريش الذين منهم الخلفاء الراشدون، ومن العرب أيضا المهاجرون والأنصار الذين هم أفضل الناس بعد النبيين (عليهم الصلاة والسلام)، يؤيد ذلك الإجماع وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

يلونهم)[١٣٦]، وهو عام لكلِّ قرن، وأشدُّ الناس على الدجال بنو تميم وهم عرب بنص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[١٣٧]، والمهدي الظاهر في آخر هذه الأمة قرشي هاشمي علوي، وفرض الله تعالى على أن يناجى في صلاته التي هي أفضل أحوال العبد باللسان العربي، فيا له من شرف تنقطع[١٣٨] دونه الأعناق ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[١٣٩].

فصل: أما سؤاله لمن تجب الطاعة فاعلم أنها تجب لمن أمر الله بطاعته وطاعة رسوله، فقال الله مخاطبا للمؤمنين، وكانوا إذ ذاك عربا، ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[١٤٠]، والأمر الشأن والإمامة في عرف الرسول والصحابة، والإمارة التي هي الخلافة والشريعة كقوله: (إذا أسند الأمر الى غير أهله فانتظروا الساعة وإذا ضيعت /٤٢/ الأمانة فانتظروا الساعة)[١٤١] و [قوله]: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو مرد ومن أحدث في أمرنا هذا أي في ديننا وهدانا)[١٤٢]، فالأمر يطلق في عرف السلف تارة على الشرع وتارة على الملك، فلا يحسبون تخصيص أحدهما دون الآخر، فأولي الأمر الذين أمرنا بطاعتهم هم العلماء العدول المجتهدون والملوك الذين هم الأئمة العادلون، وقد جزم بأنهم العلماء غير واحد من السلف، وإذا كان ذلك كذلك فأولي الأمر الخلفاء من قريش ومن صدرت ولايته عنهم لإجماع العلماء المقطوع به على أن ولاة الأمر قريش وأن الأمة مكلفة بنصب إمام قرشي وطاعة العلماء فيما أجمعوا عليه واجبة للآية المذكورة ولقوله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[١٤٣]، وترك الناس فوضى لا إمام لهم غير سبيل المؤمنين، ولقد أحسن القائل:

لا يصلحُ الناس فوضىً لا سراة لهم ولا سراةَ إذا جُهّالُهم سادُوا[١٤٤]

فانظر أيها العاقل كيف جمع الله تعالى لعباده في هذه الآية بين مصالح الدين والدنيا /٤٣/ فأمرهم أولا

بطاعته التي خلقهم لها ثم بطاعة رسوله الذي جعله واسطة بينه وبينهم في التبليغ عنهم ثم طاعة أولي الأمر من المؤمنين الذين هم العلماء والخلفاء أهل العلم المسطور والسيف المشهور ثم أرشدهم حين التنازع في معرفة حكم الوجهين المحفوظين الكتاب والسنة، ولهذا يقطع بأن حكم كل حادثة موجودة في هذين الأصلين، ولو كان في غيرهما لأرشدنا إليه، ولقد أخبرنا أنه أكمل لنا ديننا، ولذلك قطعنا ببطلان قول من يزعم أن نصوص الكتاب والسنة لا تفي بجميع الأحكام.

فصل: واعلم أن ولاة أمر المسلمين من جعلهم الله لها أولياء، قال الله تعالى ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١٤٥]، وولي النبي ولي أمته، وقال ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾[١٤٦]، ثم بيَّنهم بما اختصوا به من الأوصاف الفاضلة، فقال ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾[١٤٧]، ووصفهم في آية /٤٤/ أخرى فقال ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[١٤٨]، وقال ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[١٤٩]، وقال ﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ ﴾[١٥٠]، وقد علم انسلاخ ملوك زماننا من هذه الصفات واتصافهم بضدها فلزم أنهم ليسوا أولياء المؤمنين.

فصل: واعلم أنا نقول في حد الإمامة هي رئاسة الدين والدنيا وهي عبارة عن رجل يقوم مقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمر أمته لحياطة دينهم ودنياهم، ولها شروط:

الأول: أن يكون مسلما لأنه وال على المسلمين، ولا ولاية لكافر على مسلم بالإجماع لقوله تعالى ﴿ وَلَن

يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[١٥١]، وقوله تعالى ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾[١٥٢].

والثاني: أن يكون قرشيا لما قدمنا من الأدلة على أن الإمامة لا تجوز في غير قرشي.

والثالث: أن يكون ذكرا بالإجماع، يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)[١٥٣]، ولا ولاية لمن لا فلاح في ولايته.

والرابع: أن يكون بالغا لأن غير البالغ ليس بمكلف ومن لم يكن /٤٥/ مكلفا يفتقر الى ولي ينظر في مصالحه، فتولية من هذه صفته عكس للحقائق وخرق للإجماع المنعقد على وجوب الحجر على الأطفال.

والخامس: أن يكون عاقلا لأن غير العاقل لا نظر له وهذا معلوم عقلا وشرعا.

والسادس: أن يكون حرا لأنه منصوب للقيام بمصالح الأمة والعبد مملوك بمنافعه لسيده فلا حق فيه لغيره وأيضا جعل العبد إماما خرق للإجماع وظلم لسيده.

والسابع: أن يكون سميعا لأنه إذا كان أصم يعذر على الرعية إبلاغه خبر ما يحدث عليه ولأن الملك يفتقر الى المشاورة والمبادرة ولا يخفى ما في ذلك من الضرورة وهو منصوب لدفع الضرر.

والثامن أن يكون بصيرا لأنه إذا كان أعمى كانت البلية والضرر أعظم من ضرر الأصم ولأنه مفتقر الى حضور الحروب ورؤية الجنود.

والتاسع أن يكون عالما بالأحكام الشرعية لأنه منصوب للنيابة عن الله عز وجل في الحكم بين عباده ولا يجوز الحكم عن الله بالجهل.

العاشر: أن يكون مجتهدا قادرا على النظر والاستدلال فقيه النفس بحيث لا يفتقر الى استفتاء غيره ومن احتاج الى استفتاء غيره /٤٦/ صار مقلدا والمقلد ليس من أهل العلم بالإجماع ولأن التقليد ليس طريقا الى العلم، قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر[١٥٤]: "أجمع علماء الأمصار على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله ومن قلد رجلا صار مؤتما به وهكذا عكس للحقائق"[١٥٥].

الحادي عشر: أن يكون عدلا لأنه ولي ولا ولاية لفاسق ولقوله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١٥٦]، وهذا خبر منسحب الذيل الى يوم القيامة وقد جوز قوم من متأخري شيوخ المقلدين تولية الفاسق والجاهل وهذا خرق للإجماع المتيقن وخروج عن سبيل السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وخلاف الفقهاء الأربعة ولا يحفظ عن واحد منهم بل المحفوظ عنهم ضد ذلك، وكيف يجوز نصب الفاسق إماما ولا تقبل شهادته ولا يصدق خبره، وأيضا فالإمام مؤتمن على دماء الأمة وعلى أموالها والفاسق خائن بالإجماع.

الثاني عشر: أن يكون سنيا لأنه متى كان ذا بدعة حمل الناس عليها بشوكته والبدعة ضلالة وهو منصوب للهداية.

الثالث عشر: أن يكون مطبوعا على /٤٧/ حب العدل وبغض الجور لأنه متكلف بالعدل وبما حمله طبعه على الهوى[١٥٧].

الرابع عشر: أن يكون شجاعا قادرا على استيفاء الحدود كقطع الأيدي وضرب الأعناق والتنكيل لمستوجبي ذلك غير متهور ولا هلع لأنه منصوب لمناصبة أعداء الدين وردع المفسدين ومصادمة الأبطال والفرسان فإن لم يكن شجاعا ثابت الجأش طمع العدو وغلب.

الخامس عشر: أن يكون بصيرا بتدبير الحروب وتجنيد الجنود كافيا لجباية الخراج والصدقات وقسمتها خبيرا بعمارة الأراضي والمزارع وسد الثغور وحفر الأنهار مستشيرا لأهل الدين والصلاح والممارسين للحرب والفلاحة البصيرين بها، وقد نقل ابن عطية[١٥٨] الإجماع على أن من لم يستشر أهل الدين والصلاح عزله واجب.

السادس عشر: أن يكون مطبوعا على السخاء لينزل الدنيا حيث أنزلها الله ولا يسترق قلبه بشيء منها فلا يزال حر النفس شهم الهمة مشتغلا بما كلفه الله ومن أحب شيئا صار له عبدا.

السابع عشر: أن يكون متيقضا لأنه إذا كان مغفلا راج عليه خدع الخادعين وتدليس المدلسين وتلبس بطائن السوء /٤٨/ الذين هم رأس كل بلية وأن يكون مع يقظته سليم الصدر خبيرا بوجوه الحيل والكيد عارفا بأنواع الادعاء ليكون كما قيل:

ينامُ بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى الأعادي فهو يقظانُ نائمُ[١٥٩]

الثامن عشر: أن يكون ورعا حليما لأنه مسلط ليس فوقه من الناس أحد يأخذ على يده فإن لم يكن له رادع طبيعي يردعه عن إجابة داعي هواه وتنفيذ حكم غضبه حكم بالجور.

التاسع عشر: أن يكون ناطقا فصيحا بليغا لأنه يحتاج الى التعبير عما يريد وإفهام الرعية والقيام على المنبر في الجمع والأعياد والمجامع المهمة.

العشرون: أن يكون شديدا من غير عنف لينا من غير ضعف حسن الأخلاق لئلا يطمع القوي ويبأس الضعيف.

فهذه عشرون شرطا إن اختل منها شرط لم تنعقد الإمامة لإخلاله ودخل الشيطان من ذلك الخلل وأفسد على الأمة دينها ودنياها وهذا معلوم بالاستقراء من قال من غلب من بني أمية ومن بني العباس ومن بني عبيد وغيرهم ممن تغلب على الأمراء في يومنا هذا، ويستحب أن يكون كاتبا حافظا /٤٩/ للقرآن ولجمهور السنن وإن كان ذلك ليس شرطا على المجتهد لأن مراجعة الأصول تكفيه، عالما بأخبار من تقدم من الخلفاء والملوك والبغاة خبيرا بأيام الناس، ويستحب أن يكون صبيح الصورة جهوري الصوت حسن الهيأة كامل الخلق ويفتقر نقص الخلق الذي لا يكون به مثلة ولا مشوها كأقطع اليد والرجل والأنف والشفتين والفلج والتجدر الفظيع والجذام والخصى والعنة لأن الخصي والعنين كل منهما ناقص الذكورة فإن طرأ شيء من ذلك بعد ولايته خلع وتغتفر العنة الحادثة لكبير ولا يغتفر الكبر المفضي الى الهرم واختلال العقل والعجز عن الركوب ومباشرة الحروب، فإذا اجتمعت هذه الصفات في واحد وجب على الأمة نصبه إماما والقتال

دونه وطاعته وخدمته ووجب على كل من يراه أو سمع به أن لا يبيت ليلة إلاّ وفي عنقه له بيعة للإجماع، ولقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من مات وليس في عنقه بيعةٌ مات ميتة [١٦٠]جاهلية)[١٦١].

فصل: وتنعقد الخلافة ببيعة عدل واحد من أهل الاجتهاد فأكثر ولا يشترط عدد محصور /٥٠/ لإجماع الصحابة على وجوب طاعة الصديق لمبايعة عمر وبعد الخليفة المستكمل الشروط لمثله لإجماع الصحابة على طاعة عمر لعهد أبي بكر له فيعد الخليفة لجماعة مستكملي شروط الإمامة ليتفقوا على واحد منهم لإجماع الصحابة على طاعة عثمان بعد عمر له جامع الشروط بالسيف عند شغور منصب الخلافة.

وإذا بويع أو عهد لرجل أو قام بشوكة جامعا للشروط المذكورة في قطر من الأقطار فهو الإمام الحق ووجب على كل مسلم وكافر طاعته ونصره بالإجماع ولقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية)[١٦٢]، وفي لفظ (خلع ربقة الإسلام من عنقه) [١٦٣]، ومن خافله بتأويل فهو باغ له حكم البغاة بمشرق الأرض أو مغربها وإن كان بغير تأويل فهو محارب له حكم المحاربين، وقتال البغاة والمحاربين فرض على الإمام والجماعة، ولهذا استحلَّ علي (عليه السلام) ومن معه من الصحابة قتال أهل الجهل وأهل صفين.

فصل: فإذا لم يكن للمؤمنين إمام ووجد من هو متصف بهذه الصفات فهو أهلها ووجب نصبه في الحال فإن لم يعرف وجب /٥١/ على كل مسلم بالمشرق والمغرب التفتيش في بطون قريش على من هذه صفته فإن لم يفعل الناس أثموا أجمعين لأنه فرض كفاية تواطئوا على تركه.

فصل: فإن وجد أكثر من ذلك واستووا فبادر جماعة من عدول المسلمين أو عدل منهم الى بيعة أحدهم بيعة ظاهرة فهو الإمام فإن بويع بعده آخر وجب قتله بالإجماع، ولقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهما) [١٦٤]، وهل تقبل توبة الثاني إذا دخل في طاعة الأول خلاف بين المتأخرين والحق وجوب قتله حسما لمراد الخلاف وعملا بظاهر السنة، فإن بويع اثنان فأكثر دفعة

واحدة أو لم يعلم السابق أقرع بينهم لمن خرجت له القرعة فهو الإمام، هذا حكم دين الإسلام في هذه المسألة مما لا نعلم فيه خلافا.

فصل: وكأن بغافل أو جاهل أو معاند يقول: هذه الخصال لا توجد اليوم في أحد، فيقال له: قد قام البرهان على أن لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى قيام الساعة ودينه باق مفتقر الى حاكم به وقام البرهان على وجوب نصب الإمام وإن الأمة مكلفة بذلك وأن لا صلاح في الدين /٥٢/ والدنيا إلاّ به وعلى أنه إن لم يكن مستوفيا للشروط لم يكن إماما وإن أهل كل زمان مكلفون بذلك وإذا جاز خلو زمان من الأزمنة عن رجل بهذه الصفة فقد كلف الله عباده ما لا يطيقونه وذلك محال عقلا وشرعا، قال الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[١٦٥]، فلزم أن الله تعالى لم يكلف عباده ما يطيقونه وأن جميع الشريعة مقدورة للمكلفين، هذا برهان ظاهر وقد وجدنا ولله الحمد ورأينا في قريش من هو بهذه الصفات ويقطع على أنه لم يخل زمان قبلنا ولا بعدنا عن مثله الى قيام الساعة، ومن فتش الناس تفتيشا وسبر الناس كسبرنا ونظر كما نظرنا وجد كما وجدنا، قال الله تعالى ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[١٦٦]، وكأني والله برايات خافقة ورماح شارعة وأسنة لا معة وسيوف بارقة وسهام مفوقة ونواصي خيل طالعة ورؤوس طائحة وأجسام مجندلة وأصوات نابحة وعجاج قد ارتفع وبرق صفاح قد سطع وصحائف قد عرفت وكتاب الله قد ارتفع وأنشد لسان الكون: /٥٣/

بالحاكم العدل أضحى الكونُ معتليا نجلُ الهدى وسليلُ السادة الصلحا[١٦٧]

فصل: قد ظنَّ قوم من أهل الجهل أن الإمامة لا يكون لها إمام بهذه الصفة إلاّ بالمهدي الذي يكون زمن المسيح وهذا جهل بالسنن وعدم علم بالملاحم وقد بشرنا باجتماع الكلمة قبل المهدي بغير حديث وملحمة، كقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل هاربا من أهل المدينة الى مكة فيخرجه أهل الحرم وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام وهم يومئذ قليل عددهم ضعيفة

عددهم فيبعث بعثا من الشام فيخسف بهم سهلا من المدينة فإذا رأى الناس ذلك أتته عصائب أهل العراق وأبدال الشام ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فينبعث بعث إليه فيهزمونه فالويل كل الويل لمن يحضر غنيمة كلب فإذا رأيتم ذلك فأتوه ولو حبوا على الثلج فذلك مهدي الله)[١٦٨]، وفي لفظ (لا تقوم الساعة حتى تخرج الرايات السود من قبل خراسان يوطئون للمهدي سلطانه) [١٦٩]، وليس كل الرايات رايات بني العباس للزوم الخلف / ٥٤/، وكان ظهور بني العباس بالسواد تفاؤلا به لأنه شعار المنصور والمهدي من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما قال: (لا تقوم الساعة حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي)[١٧٠]، وفي لفظ (لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا) [١٧١]، ولقد أحسن القائل:

هو السيدُ المهديُّ من آل أحمدٍ هو الصارمُ الهنديُّ حين يبيدُ

هو الشمسُ تجلو كلَّ غمٍّ وظلمةٍ هو الوابلُ الوسميُّ حين يجودُ[١٧٢]

فصل: وقد تبين بما ذكرنا أن المهدي يبايع عند اختلاف يحدث بسبب موت ولا ينطلق اسم خليفة في عرف الرسول والصحابة إلاّ على مستكمل الشروط فصحَّ ما قلناه من ظهور قائم بحق أو أكثر قبل المهدي، وقد ذكر الناس في ملاحمهم ونصوا عليه وصرَّح بعضهم باسمه، ومن أحسن ما رأيت لبعض الملاحمين من أهل عصرنا[١٧٣]:

خليلي استمع عذرا تضمنه صدري وراثة آباء جماجمة غر

تمده لنا عن ذي المكارم أسعد أبي كرب المنعوت في سالف الدهر

ملاحم لم تعلق بها يد خائن ولا خطرت يوما على فكر ذي خبر

وما أخلفتني موعدا مذ علمتها ولكنه يأتي كما فلق الفجر

تجلى بها يحيى وما ذاق طعمها وكثَّر إهدارا من النظم والنثر

وما الذ ي عندي فعالم محقق على وفق ما فيه أمور الورى تجري
وقد بشرتنا أن هذا زماننا سيظهر فيه قائم من بني النضر
قريش بني النضر الذين هم هم بناة المعالي سادة الناس في الحشر
وما عاد عنا بالبعيد ظهوره ولم يبق شيء من علاماته الزهر
تلَقَّف خليلي فالزمان زمانه عساك تراه تحت راياته الخضر
عجبت له في الناس تلف مضيعا / ٥٥/ عظيما عزيز الزهد في حلة الفقر
إذا نظرته العين لم تكترث به وإن تختبره قلت: يا كل من خبر

وهي أبيات مشهورة بالشام ومصر والعراق.

فصل: وإن قال قائل: قد قررتم فسق كل متغلب على وجه الأرض اليوم وجزمتم بوجوب مخالفته والخروج عليه، وقد احتج من تولاهم من القائلين بوجوب طاعتهم بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (اسمعوا وأطيعوا ولو كان عبدا قرشيا)، وفي لفظ (وإن تأمر عليكم عبد حبشي يقودكم بكتاب الله) [١٧٤]، قلنا: صحَّ الإجماع وقامت البراهين على وجوب نصب إمام قرشي كما قدمنا وصحت النصوص بأن الإمامة من قريش وأن يطاع الأمير ولو كان عبدا ولم يقل أحد بجواز نصب العبد خليفة ولا يحل أن نضرب النصوص بعضها بعضا ولا أن نرد منها شيئا فلزم أن وجه العمل في هذه الأحاديث أن نقدم من أمر الله بتقديمه من قريش وأن نسمع له ونطيع ولو أمَّر علينا عبدا حبشيا /٥٦/ مجدع الأطراف كأن رأسه زبيبة ويحمل قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمره بطاعة العبد على أنه من باب التمثيل والمبالغة بوجوب طاعة الأئمة القرشيين العلماء والعادلين إذ قد يضرب المثل بما لا يكاد يصحُّ وجودا كقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من بنى للناس مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة)[١٧٥]، وموضع القطاة هو موضع جثتها حين تبيض وهو أقل من كف ولا يصح بناؤه مسجدا ولو بني مسجدا على هذا القدر لعدَّ بانيه متلاعبا

ومجنونا، هذا طريق الجمع بين هذه النصوص لو كانت متعارضة فكيف وهي محكمة معلومة المراد على الوجه الذي ذكرناه، ومن قال في هذه النصوص النبوية غير ما قلناه واحتج بها على وجوب طاعة الفساق المفسدين الذين لا يوجد فيهم شرط من شروط الإمامة فهو فاسق متعد لحدود الله خارق لإجماع الأمة المقطوع به المعلوم في كل عصر وزمان وبكل قطر ومكان من بلاد الإسلام الى يومنا هذا، وقد ورد سبب هذا الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جهَّز جيشا فيهم /٥٧/ أبو بكر وعمر وأمرَّ عليهم أسامة بن زيد[١٧٦] فقيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أتأمر أسامة بن زيد على جيش فيهم فلان وفلان؟ فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل وإن كان لخليقا بالإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليَّ وإن هذا لمن أحب الناس إلي أن اسمعوا وأطيعوا وإن تأمر عليكم عبد حبشي[١٧٧]، ولم يفهم أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الفقهاء الأربعة ولا غيرهم أن الخليفة يجوز أن يكون غير قرشي فضلا عن عبد حبشي.

فصل: وإذا أمِّر حر أو عبد أو عربي أو أعجمي أو سوقي على الأمة فغصبهم أمرهم وعزَّ لهم عنه وصار عليهم ملكا يتصرف في دمائهم وأموالهم خبط عشواء يهدم قواعد الدين ويميت سنن المرسلين ويذل المسلمين ويقيم منار الفسق ويعرج عن مقام الصدق فلا سمع ولا طاعة ويجب قتله وقتاله وكسر شوكته وشل عرشه وإن كان عادلا في جميع أحكامه إلاّ أنه ليس من قريش أو فقد شرطا من شروط الإمارة وجب عليه طلب مستكمل /٥٨/ الشروط وتسليم الأمر له فإن لم يفعل وجب على الناس ذلك فإن لم يفعلوا فهم وهو فساق ظلمة متجاوزون لحدود الله ساعون في الأرض بالفساد، ولله درُّ القائل:

إذا ظلمتْ حُكّامُنا وولاتُنا قصمناهمُ بالمرهفاتِ الصوارمِ
سيوفٌ كأنَّ الموت حالف حدَّها مُشطَّبةٌ تغري رؤوسَ الجماجمِ
إذا ما انتضيناها ليوم كريهةٍ ضربنا بها ما استمسكت بالقوائمِ[١٧٨]

فيا للمسلمين قوموا الى رضا ربكم ونصر دينكم وإحياء سنة نبيكم واسترجاع فئتكم وملككم لتنالوا العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والقوة بعد الضعف والعلم بعد الجهل والطاعة بعد المعصية، ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[١٧٩]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ﴾[١٨٠] /٥٩/، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[١٨١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[١٨٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[١٨٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[١٨٤]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[١٨٥]، ولله درُّ القائل:

لقد أسمعتَ لو ناديت حيّا ولكنْ لا حياة لمنْ تُنادي[١٨٦] /٦٠

قال العبد المجيب: ويُستحبُّ لكلِّ مسلم أن يدعو بهذا الدعاء إثر كل صلاة، كان ابن المسيب[١٨٧] يأمر أصحابه أن يدعوا به زمن الفتنة أيام الحرة وبعد ذلك أيام ملك بني مروان، وهو (اللهمَّ أبرم لهذه الأمة إبرام رشد تعز به أولياءك وتذل به أعداءك ويعمل به في طاعتك ويتناهى فيه عن معصيتك اللهُمَّ أعز دينك وأظهر أولياءك واخز أعداءك اللهمَّ انصر دينك وكتابك ورسولك وعبادك المؤمنين على الكفار والمنافقين

والمعاندين للحق المفسدين اللهُمَّ أيد القائم بالسنة وأعنه على القيام بالحق لتبليغ السنة والذب عنها واخذل من عاند في الحق ومنع من نشر العلم وارزقه وأذقه الذلة وانتقم منه نصرة لدينك وسنة نبيك وتقوية لقلوب الضعفاء من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهُمَّ واحفظ القائم بالسنة بعينك التي لا تنام يا عزيزا لا يضام اللهُمَّ اجمع شمل أمة محمد وألف بينهم وأهلك أهل الفتن المفسدين /٦١/ يا رب العالمين).

قال العبد المجيب: هذا ما يسره الله عن هذا السؤال كتبته على حكم الاستعجال وضيق الحال وشغل البال وهيجان البلبال وبعد الدار وفساد الأقطار في ليلة واحدة حيث لا عالما أراجعه ولا كتابا أطالعه فرحم الله من نظره بعين الإنصاف ولم يحمله الهوى والمعصية على الخلاف فإن رأى صوابا حمد الله الذي وفق وهدى إليه وإن وجد خطئا أصلحه وجر ذيل السترة عليه فلولا ما قصدتُ من إظهار الحق ورجوتُ من هداية الخلق لما رقمت البياض بالسواد ولا وضعت عقلي وعلمي في يد المنادُ والصلاة والسلام على محمد الهادي الى سبيل الرشاد صلاة باقية الى يوم التناد. وذلك بمدينة حلب سنة سبع وثمانين وسبعمائة ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، تصنيف العبد الصالح أبي[١٨٨]هاشم أيده الله بروح منه، ورحمه رحمةً واسعةً بمنِّه وكرمه، آمين اللهُمَّ آمين. وكان الفراغ من كتابة ذلك في يوم الجمعة المبارك ثالث عشر رجب الفرد الأصب الحرام من شهور /٦٢/ سنة ألف ومائة وسبع وخمسين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، على يد العبد الفقير الحقير عمر البدراوي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين، انتهى ما وجده كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده على نسخة الأصل وقابله مع بعض الأفاضل المصريين في مجلس واحد والحمد لله وحده والصلاة والسلام على النبي بعده.

الهوامش:

١ كذا وردت في الأصل

٢ في الأصل (المغل)

٣ سورة النساء: ٥٩

٤ ورد الحديث برواية أخرى هي (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوئهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال). المعجم الكبير (الطبراني): ١٨/ ١١٦.

٥ سورة التوبة: ٣٣

٦ في الأصل (لحملة) وهو تصحيف

٧ في الأصل (الكل)

٨ سورة فصلت: ٤٢

٩ سورة الأحزاب: ٤٦

١٠ سورة النساء: ٦٥

١١ جامع العلوم والحكم (ابن رجب الحنبلي): ٣٨٧/١

١٢ ورد الحديث برواية أخرى هي (إنما هما اثنتان الكلام الهدى فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي هدي محمد، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها). سنن ابن ماجة: ١/ ١٨ وظ: مسند أبي يعلى: ٢/ ٣٩٠ وصحيح ابن خزيمة: ٣/ ١٤٣.

١٣ سورة النساء: ٥٩

١٤ في الأصل (أحد)

١٥ هذا سورة النساء: ٥٩ تضمين لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾الإسراء: ٣٦

١٦ هذا تضمين لقوله تعالى ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ چ النور: ١٥

١٧ شورة القصص: ٥٠

١٨ سورة التوبة: ٣٢

١٩ ورد في كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود (من كثر سواد قوم جرى عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا). ١١/ ٢٥٦ ظ: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ١٨/ ٧.

٢٠ سورة النساء: ٩٧– ٩٩

٢١ ورد الحديث برواية أخرى هي (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين). سنن الترمذي: ٦/ ٣٢٩ و ظ: سنن البيهقي: ٨/ ١٣١ و سنن أبي داود: ٢/ ٣٤٩.

٢٢ ظ: فتح الباري (ابن حجر): ١٢/ ٤٨٥ و عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بدر الدين العيني): ١٣/ ٤٠٧عين المعبود شرح سنن أبي داود (محمد آبادي): ٦/ ٢٤٢

٢٣ سورة هود: ١١٣

٢٤ سورة المائدة: ٣٣

٢٥ هو قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المالكي، من رجال القرن الثامن، توفي سنة ٧٤٩هـ. الوفيات (ابن رافع): ١/ ٦٦

٢٦ سورة الأنعام: ١٥١ والاسراء: ٣٣

٢٧ سورة النساء: ٩٣

٢٨ هو الصحابي بريدة بن الخصيب أو (الحصين) بن عبد بن الحارث أبو عبد الله الأسلمي، توفي سنة ٦٣هـ. البداية والنهاية: ٨/ ٢١٦ تاريخ الإسلام: ١/ ٥٧٩

٢٩ السنن الكبرى (النسائي): ٢/ ٢٨٥ وظ: الجامع الكبير (السيوطي): ١/ ١٥٣١٢

٣٠ سورة المائدة: ٣

٣١ ورد الحديث برواية أخرى هي (ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا). سنن ابن ماجة: ١٢/ ٦٦ و ظ: السنن الكبرى (البيهقي): ٢/٢٠

٣٢ مسند أحمد بن حنبل: ٩/ ٥٩ و صحيح ابن حبان: ٢٤/ ٤٩١

٣٣ سورة المائدة: ٢

٣٤ هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القطبي المتوفى سنة ٤٦٣، صاحب كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب)، والكتاب المذكور هو كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) حققه الأستاذان مصفى العلوي ومحمد البكري. ظ: وفيات الأعيان (ابن خلكان): ٢/ ٧١

٣٥ سورة المائدة: ٥١

٣٦ سورة آل عمران: ١١٨

٣٧ سورة آل عمران: ٢٨

٣٨ سورة المجادلة: ٢٩

٣٩ في الأصل (يزول)

٤٠ لم نجدهما في كتب الأدب والدواوين، ونظن أنهما للمؤلف.

٤١ صحيح مسلم: ٣/ ١٦٤١ وقد وردت الرواية في سنن البيهقي (لا تلبسوا الحرير فإني سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة): ٢/ ٢٢٤

٤٢ في الأصل (ذي)

٤٣ سورة الحجرات: ٩

٤٤ البحر المحيط: ٣/ ٣٤٤

٤٥ في الأصل (الذي)

٤٦ في الأصل (طاعته)

٤٧ في الأصل (عليه)

٤٨ هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير سجستان ظفر به الحجاج وقتله وطيف برأسه سنة ٨٤هـ. الوافي بالوفيات (الصفدي): ٦/ ٩٢

٤٩ هو أنس بن مالك الكعبي القشيري، له حديث واحد، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجة، توفي في حدود المائة للهجرة. ظ: الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٠٨

٥٠ هو عامر بن واثلة بن عبد الله عمير الليثي، كان عالما رفيعا حجة مأمونا عابدا، توفي سنة ١٠٠هـ، وهو آخر من مات

من الصحابة. ظ: الوافي بالوفيات: ٥/ ٣٢١ و الوفيات (ابن قنفذ): ١/ ٣

٥١ هو الحسن بن يسار البصري الفقيه القارئ العابد الزاهد إمام أهل العصر، ولد بالمدينة سنة ٢١ في خلافة عمر بن الخطاب، توفي سنة ١١٠هـ. الوافي بالوفيات: ٤/ ٢٢٣

٥٢ هو عامر بن شراحيل الشعبي، إمام أهل الكوفة، توفي في حدود ٧٠هـ. الوافي بالوفيات: ٥/ ٢٠٦

٥٣ هو سعيد بن جبير الوابلي الكوفي المقرئ الفيه المفسر، توفي سنة ٩٥هـ. العبر في خبر من غبر: ١/ ٢٠

٥٤ هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، قاضي الكوفة وفقيهها وعالمها، توفي سنة ٢٧٥هـ. الوافي بالوفيات: ١/ ٣٨٧

٥٥ هو النعمان بن ثابت الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة، ولد سنة ٨٠هـ، روى عن أنس وعطاء بن أبي رباح، وهو فقيه العراق في عصره، توفي سنة ١٥٠هـ. العبر في خبر من غبر: ١/ ٣٩

٥٦ هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، من خلفاء بني أمية، يقال له الناقص لأن سلفه الوليد قد زاد في أعطيات الجند فلما ولي يزيد نقص الزيادة، توفي سنة ١٢٦. الكامل في التأريخ: ٥/ ١١٥ والبداية والنهاية: ١٠/ ١١

٥٧ هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي، أول من ملك الأندلس، كانت مدة حكمه ثلاث وثلاثون سنة، توفي سنة ١٧٢هـ. الوافي بالوفيات: ٦/ ١٠٩

٥٨ هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي المدني، أحد الأئمة الأعلام وإمام أهل المدينة، توفي سنة ١٧٩هـ. وفيات الأعيان: ٤/ ١٣٥

٥٩ هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي المطلبي، ولد سنة ١٥٠هـ، أخذ الفقه عن مسلم بن خالد، من مؤلفاته: كتابه الرسالة، وله ديوان شعر، توفي سنة ٢٠٤. العبر في خبر من غبر (الذهبي): ١/ ٦٤

٦٠ هو أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، ولد سنة ١٦٤هـ في مرو، كان إمام المحدثين صنَّف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره، توفي سنة ٢٤١هـ. وفيات الأعيان: ١/ ٦٣ و الوافي بالوفيات: ٢/ ٣٤٣

٦١ هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، قتله الواثق سنة ٢٣٢هـ. العبر في خبر من غبر: ١/ ٧٧

٦٢ أي الإمام مالك.

٦٣ سورة الشعراء:٢٢٧

٦٤ جاء في طبقات الحنابلة (ابن أبي يعلى (حمل أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي من بغداد الى سر من رأى فقتله الواثق سنة ٢٣١ وصلب رسه على الجسر وأنه ذكر المكل به أنه يراه بالليل يستدير الى القبلة بوجهه قيقرأ سورة يس بلسان طلق): ١/ ٣١.

٦٥ في الأصل (البعض)

٦٦ في الأصل (البعض)

٦٧ سورة النور: ٤١

٦٨ سورة آل عمران: ٢٨

٦٩ في الأصل (وكانوا)

٧٠ في الأصل (لكانوا)

٧١ هو أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان، كانت خلافته ثلاث سنوات، توفي سنة ١٠١. العبر في خبر من غبر: ١/ ٢١

٧٢ هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك تولى الخلافة سنة ١٢٥هـ وتوفي سنة ١٢٦هـ. تأريخ الطبري: ٥/ ٥٢٠

٧٣ ورد الحديث برواية ابن ماجة (زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطيت الكنزين الأصفر والأبيض وقيل لي إن ملكك الى حيث زوي لك): سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٠٤ و ظ: المعجم الأوسط (الطبراني): ٨/ ٢٠٠

٧٤ ورد الحديث في المعجم الكبير (لا طاعة لمخلوق في معصية الله): ١٨/ ١٦٥.

٧٥ روى أحمد في مسنده أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقا ولكم عليهم حقا مثل ذلك ما إن استرحموا فرحموا وإن عاهدوا وفوا وإن حكموا عدلوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين): ٢٤/ ٤٠٥. وظ: المعجم الصغير (الطبراني): ١/ ٤٣٧ و مسند أبي يعلى: ٨/ ١٦٤

٧٦ شرح ديوان المتنبي (البرقوقي): ٢/ ٢٠٧

٧٧ أطلق مصطلح القدرية على القائلين بأن الخير والشر من الله تعالى. الملل والنحل: ١/ ٤ و ظ: الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة (هاشم الحسيني): ٢١/ ١

٧٨ وهم إحدى فرق القدرية يعتقدون أنهم عدول وأن رأيهم الارجح، شيخهم إسماعيل بن علي بن زيجويه الرازي الحافظ، توفي

سنة ٤٤٥هـ. الوافي بالوفيات: ٣/ ٢٢٤

٧٩ سورة الأنبياء: ٢٣

٨٠ سورة النحل: ٣٥

٨١ في الأصل (الذين)

٨٢ المقصود: أشد كفرا

٨٣ المقصود: الأحكام

٨٤ في الأصل (بالكل)

٨٥ ظ: لسان العرب، مادة (ظهر) و جاء في معجم مقاييس اللغة: (ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، ومنه ظهرت على كذا إذا اطلعت عليه، والظهور الغلبة): باب الظاء والهاء وما يثلثهما، مادة (ظهر)، وجاء في تاج العروس: (وظهر به وعليه، يظهر: غلبه وقوي، وفلان ظاهر على فلان، أي غالب،وقيل: الظهور: الظفر بالشيء والاطلاع عليه): مادة (ظهر).

٨٦ جاء في مسند أحمد عن عمير بن هانئ، قال: (سمعت معاوين بن أبي سفيان على هذا المنبر يقول: سمعت رسول الله يقول: لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم ظاهرون على الناس): ٣٤/ ٢٨٧

٨٧ سورة التحريم: ٣

٨٨ جاء في رسالة الشافعي: (وهكذا غير هذا من حديث رسول الله هو على الظاهر من العام حتى تأتي الدلالة عنه كما وصفت أو بإجماع المسلمين أنه على باطن دون ظاهر وخاص دون عام فيجعلونه بما جاءت عليه الدلالة عليه ويطيعونه في الامرين جميعا): ٣٢٢.

٨٩ وهي دعوى ظهرت في أيام المأمون بزعامة حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح، وإنما لزمهم هذا اللقب لاعتقادهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً . الفرق بين الفرق: ١/ ١٦ و؟: الملل والنحل: ١/ ١١٨.

٩٠ جاء في كتاب (معرفة علوم الحديث) للحاكم النيسابوري: (سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم): ١/ ٢ و ظ: شرف أصحاب الحديث (الخطيب البغدادي): ١/ ٤٥

٩١ هم حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري، يعد أصحابها من ولاة الشيعة الذين زعموا وجودا إلهيا في علي وألهوه به. الملل والنحل: ١/ ١٧٢الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: ١/ ٣٩٠

٩٢ وهم العبيديون من حكام القتاهرة، ويلقبون بالفاطمية. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (الصفاريني): ١/ ٨٥

٩٣ وهي فرقة من فرق الشيعة، يعتقدون بإمامة محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وإليه ينتسبون، ويزعمون أن الإمامة ختمت به إذ كان هو السابع من الأئمة. الفرق بين الفرق: ١/ ٤٦ و فضائح الباطنية (الغزالي): ١/ ١٦

٩٤ في الأصل (الاثنا)

٩٥ المقصود الإمامية وهم أشهر فرق الشيعة، وهم يعتقدون بأن الإمامة منصوص عليها من الله لآل بيت الرسول، وهو اثنا عشر إماما، أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي المنتظر، وسموا بالرافضة لأنهم رفضوا خلافة الخلفاء الثلاثة.

٩٦ هذه فرية كبيرة على الإمامية روَّج لها حكام بني أمية حقدا على أئمة أهل بيت الرسول وشيعتهم وأتباعهم.

٩٧ في الأصل (ينطلق)

٩٨ في الأصل (حيث)

٩٩ ورد البيت لمجهول القائل في البصائر والذخائر (أبو حيان التوحيدي): ١/ ٤٦٨ و زهر الأكم في الأمثال والحكم: ٩٤/١

١٠٠ ورد الحديث في مسند أحمد (إن الله عز وجل نظر الى أهل الأرض فمقتهم عجميهم وعبيهم إلاّ بقايا من أهل الكتاب: ٣٥/ ٣٥٤ و ظ: صحيح ابن حبان: ٣/ ٣٠٦ والمعجم الأوسط: ٢٠٦/٣

١٠١ ورد الحديث في مسند أحمد (والذي نفسي بيده لتتبعنَّ سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا فباعا حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه): ١٧/ ٣٣ و ظ: صحيح ابن حبان: ٢٧/ ٤٤٧ وفي صحيح البخاري (حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه): ١٢/ ١٦٩

١٠٢ ورد في جامع الأحاديث (السيوطي) برواية أخرى هي (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار غير واحدة، قيل: وما تلك الواحدة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي): ١٣/ ٣٠٧

١٠٣ في الأصل (قال)

١٠٤ ورد في جامع الأحاديث عن رسول الله قوله: (تكون دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها هم قوم من

جلدتنا يتكلمون بألسنتنا فالزم جماعة المسلمين وإمامهم فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك): ١١/ ٣٥١ وجاء في كتاب (الأربعون حديثا) لابن عساكر (فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك منكم ذلك فعليه بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين): ١/ ٨١

١٠٥ سورة غافر: ٨٥

١٠٦ سورة السجدة: ١٦

١٠٧ هم فرقة من فرق الشيعة، ينتسبون الى زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، انقسموا بعد وفاة زيد الى ثلاثة فرق هي الجارودية والسليمانية والبترية. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ١/ ٨٥

١٠٨ وهم أصحاب محمد بن عبد الله بن كرام، وكان ممن يثبت الصفات لله إلاّ أنه ينتهي بها الى التجسيم والتشبيه. الملل والنحل: ١/ ١٠٧

١٠٩ البيت لأبي الطيب المتنبي: شرح ديوان المتنبي (البرقوقي): ٢١٧/١

١١٠ وهم أتباع القاسم بن راوند، وهم يعتقدون بأن العباس بن عبد المطلب هو أفضل الصحابة، والأئمة عندهم العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه علي ثم محمد ثم إبراهيم ثم أبو العباس السفاح ومن يليه من خلفاء بني العباس. فضائح الباطنية: ١/ ٧١

١١١ في الأصل (التي)

١١٢ وهم فرقة من فرق الخوارج، وهم أتباع نافع بن الأزرق الحنفي وهم من أقوى فرق الخوارج وأكثرها عددا وأشدها شوكة. الفرق بين الفرق: ١/ ٥٤

١١٣ هو مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة، يكنى بأبي ثمامة، جمع جموع بني حنيفة وغيرهم من سفهاء العرب وقصد قتال الصحلبة في إثر وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجهز أبو بكر جيشا بقيادة خالد بن الوليد لقتاله، وقتل سنة ١١هـ. تهذيب الأسماء واللغات (النووي): ٢/ ١١٥.

١١٤ هو علي بن محمد بن أحمد صاحب الزنج، ادعى الإمامة وعلم الغيب، قدم البصرة سنة ٢٤٩ واجتمع حوله عدد كبير من العبيد واستولى على مناطق كثيرة منها البحرين والإحساء والإبلة وواسط، قتل سنة ٢٧٠ في خلافة الموفق بالله. الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٨٥

١١٥ حركة مناوئة للحكم العباسي، ظهرت في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ، تزعمها حمدان القرمطي، وتم قمعها في خلافة المكتفي بالله. سير أعلام النبلاء (الذهبي): ١٣/ ٢٨٢

١١٦ كان قيام دولة بني عبيد، وهم من الشيعة الاسماعيلية سنة ٢٩٦ في المغرب، خليفتهم الأول عبيد الله المهدي، حكموا تونس ومصر والشام، وكان زوال دولتهم على يد القائد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٥هـ. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ١/ ٣٩٩غ

١١٧ ظهرت دولة بني بويه سنة ٣٢٢هـ وحكموا بلاد فارس والعراق وسقطت دولتهم على يد السلاجقة سنة ٤٣٠هـ. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوالي (العصامي): ٢/ ٢٤١.

١١٨ وهم أقوام أتراك، أول ملوكهم محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ملكوا أرض خراسان والجبل سنة ٤٣١، أسقطوا دولة البويهيين ودخلوا بغداد سنة ٤٤٧ في زمن الخليفة القائم بأمر الله. البداية والنهاية: ١٢/ ٩٠ وظ: تاريخ الإسلام (الذهبي): ٧/ ٣١

١١٩ في الأصل (المعتصم)

١٢٠ هذا عجز بيت لصفي الدين الحلي من قصيدته التي أولها :

خطبٌ لسان الحال فيه أبكمُ وهوى طريق الحقِّ فيه مظلمُ

وصدره : (وعنت لمعتصم الرقاب ببأسه): ديوان صفي الدين الحلي: ٦٧

١٢١ سورة هود: ١٠٢

١٢٢ سورة الاسراء: ١٦

١٢٣ ورد في جامع الأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (إن هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته ما لم تحدثوا عملا ينزعه الله منكم فإن فعلتم ذلك سلّط الله عليكم شرار خلقه فيلتحوكم كما يلتحي القضيب). جامع الأحاديث: ٣٧/ ١٠٨

١٢٤ جامع الأحاديث: ٢٤/ ٢٧٢

١٢٥ ورد في كتاب الورع (أحمد بن حنبل): (هلاك أمتي على يدي أغلمة من قريش سفهاء): ٩٤ وجامع الأحاديث: ٢٤/ ٢٤

١٢٦ لم نجدهما في كتب الأدب والدواوين، ونظن أنهما للمؤلف.

١٢٧ سورة الأحزاب: ٣٦

١٢٨ سورة الزخرف: ٤٤

١٢٩ في الأصل (قال)

١٣٠ جاء في لسان العرب: (الذكر ذكر الشرف والصيت، والذكر الشرف، وفي التنزيل "وإنه لذكر لك ولقومك" أي شرف لك ولهم، والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل). مادة (ذكر).

١٣١ ورد الحديث في معرفة السنن والآثار للبيهقي (قدموا قريشا ةلا تقدموها وتعلموا من قريش ولا تعلموها): ١/ ١٢٠ و ظ: الجامع الكبير (السيوطي):١/١٥٣٨٥

١٣٢ ورد الحديث في مسند أحمد (الناس تبع لقريش صالحهم تبع لصالحهم): ٢/٢٥٧ و في المعجم الأوسط للطبراني (الناس تبع لقريش خيارهم لخيارهم وشرارهم لشرارهم) و في صحيح ابن حبان (الناس تبع لقريش في الخير والشر): ٢٦/ ٦٤

١٣٣ مسند أحمد: ١٠/ ١٣٦ و صحيح ابن حبان: ٢٦/ ٧٠ وفي المعجم الأوسط (لا يزال هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلاّ كبَّه الله على وجهه بالنار): ٣/ ٢٧٤

١٣٤ سورة آل عمران: ١١٠

١٣٥ سورة الزمر: ٧٥

١٣٦ الموطأ (مالك بن أنس): ٣/ ٢٩٥ ظ: جامع العلوم والحكم: ١/ ٤٢٩

١٣٧ ورد في جامع معمر بن راشد: (أشد الناس على الدجال بنو تميم): ٤/ ١٩٧ في معجم ابن المقرئ: (هم أشد الناس على الدجال): ٢/ ٤٥٣

١٣٨ في الأصل (ينقطع)

١٣٩ سورة الحديد: ٢١

١٤٠ ورد تخريجها في ص٢

١٤١ ورد في مسند أحمد (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال يا رسول الله كيف أو قال: ما إضاعتها؟ قال: إذا توسد الأمر غير أهله فانتظر الساعة): ١٧/ ٤١٦ و صحيح ابن حبان: ١/ ٣٠٠ و في صحيحى البخاري (إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة): ٣٨٣/٢١.

١٤٢ ورد الحديث في مسند أحمد (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فأمره رد): ٥١/ ١٣٢ و صحيح البخاري: ٨/ ٨٠ وفي سنن الدارقطني (من فعل أمرا ليس عليه أمرنا فهو رد): ١٠/ ٣٩١

١٤٣ سورة النساء: ١١٥

١٤٤ البيت للأفوه الأودي. ديوان الأفوه الأودي: ٦٦ و الشعر والشعراء: ١/ ٤٠ و العقد الفريد: ٢/ ٣٢٠

١٤٥ سورة التحريم: ٤

١٤٦ سورة المائدة: ٥٥

١٤٧ سورة التوبة: ١١٢

١٤٨ سورة الحج: ٤١

١٤٩ سورة يونس، الآيتان ٦٢- ٦٣

١٥٠ سورة المجادلة: ٢٢

١٥١ سورة النساء: ١٤١

١٥٢ ورد تخريجها في ص٨

١٥٣ سنن الترمذي: ٩/ ٩ سنن النسائي: ١٦/ ٣٤١ و سنن البيهقي: ٣٤٤/٢

١٥٤ هو يوسف بن عم بن عبد البر بن عبد الله القرطبي، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها، ولد سنة ٣٦٨هـ، وتوفي سنة ٤٦٣. كشف الظنون: ٢/ ١٣٧٩

١٥٥ ورد في كتاب الأصول الثلاثة: (أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن معرفة الحق بدليله): ٥/١

١٥٦ سورة البقرة: ١٢٤

١٥٧ في الأصل (الهواء)

١٥٨ هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، مفسر وفقيه أندلسي، ولد سنة ٤٨١هـ، وتوفي سنة ٥٤٢.الوافي بالوفيات: ٦/ ٤٨

١٥٩ البيت للشاعر حميد بن ثور. أمثال العرب (المفضل الضبي): ١/ ١٩ العقد الفريد: ٢/ ٤٨٤

١٦٠ في الأصل (موتة)

١٦١ المعجم الكبير: ١٩/ ٣٣٤ و الإبانة الكبرى (ابن بطة العكبري): ١/ ١٤٩ وفي مسند أبي يعلى (من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهلية): ١٥/ ١٨١

١٦٢ ورد في مسند أحمد (من رأى من أميره شيئا يكرهه فاليصبر فإنه ما أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلاّ مات ميتة جاهلية): ٦/ ١٠٠ و في السنن الكبرى للبيهقي (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية): ٨/ ١٥٦

١٦٣ ورد في مسند أحمد (وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه): ٣٥/ ٣٢ و في السنن الكبرى (وأنا آمركم بخمس كلمات أمرني الله عز وجل بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه): ٨/ ١٥٧

١٦٤ ورد في صحيح مسلم (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما): ٣/ ١٤٨٠ و السنن الكبرى: ٨/ ١٤٤

١٦٥ سورة البقرة: ٢٨٦

١٦٦ سورة الحج: ٤٦

١٦٧ البيت للقاضي الجليس امين الدين المصري. المرقصات والمطربات (ابن سعيد الأندلسي): ١/ ٣٠

١٦٨ وردت الرواية في مسند أحمد عن أم سلمة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارب الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام فيبعث إليهم جيش من الشام فيخسف بهم في البيداء فإذا رأى الناس ذلك أتته أبدال الشام وعصائب العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليه المكي بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس سنة نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) ويلقي الإسلام بجرانه الى الأرض يمكث تسع سنين): ٥٤/ ١٢٩ و

ظ: المعجم الأوسط: ٣/ ١٦٨ و صحيح ابن حبان: ٢٨/ ٥٥.

١٦٩ جاء في الجامع الكبير (أصحاب الرايات السود هم الذين يوطئون للمهدي سلطانه): ١/ ١٧٨٦ وفي مسند أحمد (إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي): ٣٧/ ٧٠

١٧٠ ورد في مسند أحمد أن رسول الله قال: (لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي):٧/ ٤٢٦ و ظ: سنن الترمذي: ٨/ ٤٠٩.

١٧١ جاء في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي (لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا صالحا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا): ١٤/ ٣٣ وظ: ميزان الحكمة: ٨/ ٣

١٧٢ لم نجدهما في كتب الدواوين ونظن أنهما للمؤلف.

١٧٣ لم نجدها في كتب دواوين الشعراء ولا في كتب الأدبونظن أنها للمؤلف.

١٧٤ ورد في مسند أحمد (يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مُجدَّع ما أقام فيكم كتاب الله): ٣٣/ ٤٧٨ و سنن ابن ماجة: ٩/ ١٨ و سنن البيهقي: ٢/ ٤٦٥

١٧٥ ورد في مسند أحمد (من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبضها بنى الله له بيتا في الجنة): ٥/ ٨٢ و صحيح ابن حبان: ٧/ ٢٢٣

١٧٦ هو أسامة بن زيد بن حارثة، ولد بمكة، وكان من أول الناس إسلاما، أمره رسول الله وهو لم يبلغ العشرين، توفي سنة ٥٤هـ. الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٤٩

١٧٧ ينظر تفاصيل القصة في البداية والنهاية: ٤/ ٢٥٥ و تأريخ الإسلام (الذهبي): ١/ ٢٩٨

١٧٨ وردت الأبيات برواية أخرى في ديوان ابن الرومي: ٢/ ١٥٤

وما تتراءى في المرايا وجوهنا بلى في صفاح المرهفات الصوارم

إذا ما انتضيناها ليوم كريهة أرتنا وجوه المخدرات الضراغِم

١٧٩ سورة النور: ٣١

١٨٠ سورة التحريم: ٨

١٨١ سورة الصف، الآيتان: ١٠-١١ .

١٨٢ سورة الصف: ١٤

١٨٣ سورة التوبة، الآيتان: ٣٨- ٣٩

١٨٤ سورة محمد: ٧

١٨٥ سورة الحج، الآيتان: ٤٠- ٤١

١٨٦ البيت للشاعر عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية، شاعر أموي مقل، توفي بعد واقعة كربلاء، كان أخوه مروان بن الحكم واليا على المدينة. اتفاق المباني واختلاف المعاني: ١/ ١١٤

١٨٧ هو سعيد بن المسيب بن حزن، قرشي مخزومي، عالم أهل المدينة، توفي سنة ٩٤هـ. الوافي بالوفيات: ٥/ ٨٣

١٨٨ في الأصل (أبو).

مصادر التحقيق:

القرآن الكريم.

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ١٩٩٢م

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن عز الدين بن الأثير، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٩٩٦م

٣. الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين- بيروت.

٤. اتفاق المعاني وافتراق المعاني: سليمان بن بنين الدقيقي، تحقيق يحيى عبد الرؤوف جبر، دار عمار- الأردن، ١٩٨٥.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، ١٤١٢هـ.

٦. أمثال العرب: المفضل بن محمد الضبي، تقديم إحسان عباس، دار الرائد العربي- بيروت.

٧. بحار الأنوار: العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء- بيروت

٨. البداية والنهاية: الإمام الحافظ عماد الدين ابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق عبد الله بن

عبد المحسن التركي، دار هجر، السعودية.
٩. البصائر والذخائر: علي بن محمد بن العباس التوحيدي: تحقيق وداد القاضي، دار صادر– بيروت.
١٠. تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ
١١. تأريخ الرسل والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف– القاهرة، ١٩٦٧م
١٢. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، تحقيق محمد عبد القادر عطا.
١٣. جامع الأحاديث: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي جمعة الشافعي وآخرين، جامع الأزهر الشريف.
١٤. جامع العلوم والحكم: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة– بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٥. جامع العلوم والحكم: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة– بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ
١٦. ديوان الأفوه الأودي: صلاءة بن عمرو بن مالك اليمني، تحقيق محمد التونجي، دار صادر– بيروت.
١٧. ديوان صفي الدين الحلي: أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا بن نصصر الطائي السندسي، دار صادر– بيروت.
١٨. زهر الأكم في الأمثال والحكم: الحسن اليوسي، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة– المغرب، ١٩٨١م
١٩. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين العصامي المكي، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٩٨م
٢٠. سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر– بيروت.
٢١. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي– بيروت.
٢٢. سنن البيهقي الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤
٢٣. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي– بيروت.
٢٤. سنن الدار قطني: علي بن عمر الدار قطني، تحقيق عادل أحمد وعلي محمد معوض، دار المعرفة– مصر، ٢٠٠١م

٢٥. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية- حيدر آباد، ط١، ١٣٤٤هـ.
٢٦. سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، ١٩٨٦م
٢٧. سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوطي وآخرين، مؤسسة الرسالة- ١٩٩٦م
٢٨. شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ٢٠٠١.
٢٩. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف- مصر.
٣٠. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسيني، دار الملاك للطباعة والنشر.
٣١. صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٩٩٣
٣٢. صحيح البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٣٣. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن الحسين القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣٤. طبقات الحنابلة: القاضي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى البغدادي الحنبلي، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م
٣٥. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي- القاهرة، ٢٠٠١م
٣٦. العبر في خبر من غبر: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت.
٣٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي محب الدين الخطيب، دار الريان، ١٩٨٦م
٣٨. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط٢، ١٩٧٧

٣٩. فضائح الباطنية: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية– الكويت.
٤٠. الفضائح الباطنية: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية– الكويت.
٤١. الكامل في التأريخ: ابن الأثير الجزري، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضيب، دار الكتب العلمية– بيروت، ١٩٨٧م
٤٢. كتاب الأربعون حديثا لأربعين شيخا من أربعين بلدة: أبو القاسم علي بن حسن بن هبة الله بن عساكر، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن– القاهرة.
٤٣. لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، دار صادر– بيروت.
٤٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين محمد بن سالم الصفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين– دمشق، ط٢، ١٩٨٢
٤٥. مسند أبي يعلى الموصلي: أبو يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ١٩٨٩م.
٤٦. مسند أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد الشيباني، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث– القاهرة، ١٩٩٥
٤٧. المعجم الأوسط: أبو القاسكم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين– القاهرة، ١٤١٥هـ.
٤٨. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م.
٤٩. معجم مقاييس اللغة: ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر– بيروت، ١٩٧٩م
٥٠. معرفة علوم الحديث: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ٢٠٠٣م
٥١. الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة– بيروت.
٥٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية– بيروت.

٥٣. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ١٩٩٤م
٥٤. موطأ مالك رواية محمد بن الحسن: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق الدكتور تقي الدين الندوي، دار القلم- دمشق، ط١، ١٩٩١م.
٥٥. الموطأ: مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة،١٩٨٥م
٥٦. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: أبو المحاسن جمال الدين يوسف ب تغري بردي، تعليق محمد حسين شمس الدين، ١٩٩٢م
٥٧. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار التراث- بيروت.
٥٨. الورع: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٣.
٥٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، دار الكتب العلمية- بيروت.
٦٠. الوفيات: أبو العباس أحمد بن الحسين بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ١٩٨٣م.